اليهودية بين المسيحية والإسلام

تأليف خلف محمد الحسينى

ارة الثقافة والارشاد القومى
المؤسسة المصرية العامة
يف والترجمة والطباعة والنشر

اليهودية بين المسيحية والاسلام

« وأعِدُّوا لهم ما استطعتم مِن قُوَّةٍ »

« قرآن كريم »

بقلم

خلف محمد الحسينى

مدير التعليم السابق

يونية سنة ١٩٦٤

وزارة الثقافة والإرشاد القومى

المؤسسة المصرية العامة

للتأليف والترجمة والطباعة والنشر

بسم الله الرحمن الرحيم

الإهداء

الى ناصر القومية العربية وأمل العرب المسلمين والمسيحيين فى تحرير فلسطين من الصهيونية .

الى موقظ الشعوب . ومزلزل حصون الاستعمار والرجعية ، ومعلم الشعوب العربية كيفية الحياة الحرة .

علمت شبان المدائن والقرى
كيف الحياة تكون فى الشبان

الى من بعثه الله فى هذا العصر كحلقة فى سلسلة ممن أعلم الله أنه سيبعثهم على اليهود المعتدين من عباده أولى البأس الشديد ليسوموهم سوء العذاب الى يوم القيامة . مصداقا لقوله تعالى :

« واذ تأذن ربك ليبعثن عليهم الى يوم القيامة من يسومهم سوء العذاب »

الى المؤمن بالله وبالشعوب ، الواثق بنصر ربه للمؤمنين لقوله تعالى :

« وكان حقا علينا نصر المؤمنين » ؟

الى رائد القومية والوحدة والاشتراكية الرئيس جمال عبد الناصر .

خلف محمد الحسينى

مقدمة

لعل هذا الكتاب هو أول كتاب طرق باب البحث عن أفعال اليهود مع المسلمين والمسيحيين ومن سبقهم من الأمم وهو على صغر حجمه بالقياس الى هذا البحث الذى يتطلب أسفارا ، قد ألمّ بموضوعه الماما واضحا مع ايجاز يتناسب مع عصرنا الحاضر .. عصر السرعة فى كل شىء .

وهذا الكتاب يحتوى على خمسة عشر فصلا ، اشتمل الفصل الأول منه على مجمل تاريخ اليهود ، وتلته الفصول الأخرى موضحة أعمال اليهود مع الأشوريين والبابليين ، والروم والفرس ، والعمالقة والفراعنة ، والعرب من قبل الميلاد الى أوائل عامنا هذا عام ١٩٦٤ م .

وسبب اختيارى هذا الموضوع هو « اغتصاب اسرائيل أرض فلسطين العربية » الذى يشكل جريمة لا مثيل لها فى المدنية الحديثة . كما قالت الآنسة « ثبكنس » الانجليزية بعد زيارة طويلة للعالم العربى استغرقت حوالى السنتين ، فقد كتبت قولها : « ان طرد العرب من أرضهم المتوارثة فى

فلسطين ، واحلال اليهود الصهيونيين القادمين من مختلف أنحاء العالم محلهم ، واغتصاب أرضهم وأملاكهم ليشكل جريمة لا مثيل لها فى المدنية الحديثة » [1] .. وهناك سبب آخر قد حفزنى الى اختيار موضوع هذا الكتاب وهو « اشتراك اسرائيل فى العدوان الثلاثى الغادر على مصر فى عام ١٩٥٦ ثم تماديهم فى العدوان على البلاد العربية حتى يومنا هذا ، وهم يستعدون بكل ما يستطيعون من قوة للعدوان على العرب فى المستقبل .

وغرضهم الأساسى من الاعتداءات المتكررة انما هو القضاء على القومية العربية التى رفعت مصر رايتها وتصدرت لقيادتها ، وأيقظت العرب من حولها بثورتها التى قامت فى ٢٣ يوليو ١٩٥٢ م ، فتوجهت أنظارهم اليها وولوا وجوههم شطرها ، وحذت شعوبهم حذوها ، فثارت « الجزائر العربية » ثورتها على الاستعمار الفرنسى ، وكانت الجمهورية العربية المتحدة شقيقتها ساعدها الأيمن فى جهادها سبع سنين حتى ظفرت باستقلالها فى شهر يولية سنة ١٩٦٢ .

وثارت مثلها « العراق العربية » وأطاحت بأدوات

---

(١) عن نشرة للمعهد الملكى البريطانى للعلاقات الدولية .

الاستعمار ، وكانت الجمهورية العربية المتحدة أكبر عون لها على النجاح أول أمرها ، ولكن قاسمها قسماً شيعا وأحزابا وورط نفسه فى دوامة من القلاقل والاضطرابات التى أودت بحياته .

وكذلك ثارت « اليمن العربية » على الملكية المستبدة الطاغية كما ثارت مصر أختها من قبلها ، فشدت مصر أزرها ووقفت معها فى نضالها ضد الاستبداد والظلم حتى نجحت ثورتها التى قامت فى ٢٦ من شهر سبتمبر ١٩٦٢ .. وأعلن قائد ثورتها البطل « عبد الله السلال » أنه يترسم خطا الجمهورية العربية المتحدة فى ثورتها . ولقد اقتدت معظم الدول الافريقية بأمها مصر فى ثورتها المباركة ، فهبت تطالب باستقلالها ، وجاهدت فى سبيل ذلك جهادا عظيما حتى حصل على استقلاله منها ٣٣ دولة الى يومنا هذا ، بعد أن رزحت تحت نير الاستعمار سنين طويلة ، ثم اعتنقت الدول المستقلة حديثا المبدأ السياسى المشهور للجمهورية العربية المتحدة وهو : الحياد الايجابى وعدم الانحياز ؛ حتى أعلن زعماء هذه الدول عزمهم على عقد مؤتمر مع الجمهورية العربية المتحدة لتقرير « وحدة أفريقية » .

أما الدول الأفريقية غير المستقلة التى تصيح مطالبة

باستقلالها مثل « موزنبيق » المستعمرة البرتغالية ومثل اتحاد جنوب أفريقية ، فقد صرحت الجمهورية العربية المتحدة بمظاهرتها على أعدائها هى وسائر الدول الأفريقية المستقلة حتى تحصل على استقلالها .

ولولا القومية العربية التى أصبح لها صوت مسموع فى هيئة الأمم المتحدة ، لما قررت هذه الهيئة العالمية « تصفية الاستعمار » عدو العرب الآسيويين والافريقيين فى احدى جلساتها السابقة .

فليبذل كل عربى جهده فى دعم حصن القومية العربية ، والذود عن حياضها ، وليستعذب فى سبيلها كل تضحية ، فهى غل ثقيل يخنق اسرائيل فى فلسطين لو أحكمت حلقاتها ، وضيق على اسرائيل خناقها ، وهى القادرة على تحطيم ما بقى من هيكل الاستعمار فى العالم .

وليأخذ كل عربى حذره من الصهيونيين ، ويتعرف أحوالهم وأفعالهم ليأمن شرهم ويفطن لغدرهم فيحبط مكرهم ، ويطيش سهمهم ، وليعد العدة لملاقاتهم ، وعدته الاتحاد ، والجهاد ، والأخلاق والسلاح والتضحية .

وها أنذا قد رسمت فى هذا الكتاب صورة واضحة

لأفعال اليهود فى مختلف العصور ، وزدتها ايضاحا فى عصرنا الحاضر ، وعسى أن أكون قد أديت واجبا وطنيا لتراثنا القومى . وللثقافة العامة ، والتوعية القومية العربية .

خلف محمد الحسينى
مدير التعليم الثانوى السابق بأسيوط

الفصل الأول

مجمل تاريخ اليهود

لابد لمن يعرض لموقف اليهود بين المسيحية والاسلام أن يرسم الخطوط الرئيسية لتاريخ اليهود وعلاقته بالمسيحية والاسلام ، وأن يعرض صور أخلاقهم وعاداتهم ومعتقداتهم وأحوال معيشتهم فى مرآة مصقولة يرى فيها البصير ما يساعده على فهم ما يبدو فيها من متناقضات ، وغدر وخيانات ، ومن عبادة للمال وحب للذات ومن عداوة وبغضاء لغير اليهود بسبب التعصب للملة والجنس ، ومن دسائس وفتن ، واثارة للحروب أو اقلاق وأذى لمن جاورهم من القبائل والشعوب .

ولما كان تاريخ اليهود مرتبطا كل الارتباط بتاريخ العالم كله منذ نشأتهم وتفرقهم فى أرجاء الأرض ، حتى لا يكاد يخلو منهم اقليم من الأقاليم ، صار من الصعب على المؤرخ أن يستخلص تاريخهم منذ نشأتهم الى عصرنا هذا ،

ولن يتيسر ذلك الا لمن وفقه الله ، وأفرغ عليه الصبر وأعانه على تذليل الصعاب ، وتحمل مشقات البحث والتنقيب ، فاللهم عونك وتوفيقك ، « وما توفيقى الا بالله عليه توكلت واليه أنيب » .

اليهود وبنو اسرائيل

اليهود كلمة أعم من كلمة بنى اسرائيل ، لأن الأولى تطلق على كل من تهود أو صار يهوديا سواء أكان من نسل « يهودا » [1] رابع أبناء « يعقوب » أم من نسل العرب أو الفرس أو الروم أو غيرهم . ويؤيد هذا ما ذكره (ربلى) فى كتابه (أجناس أوربة) من أن تسعة أعشار يهود العالم لا يمتون الى اليهود الأولين بأى شبه ، وأن القول بنقاء الدم اليهودى حديث خرافة ، فاليهودية دين وليست جنسا ، اعتنقها على مر العصور أشتات من البشر تباينوا فى اللون والسحنة والملامح ، ينتمون الى أجناس مختلفة وشعوب عدة [2] . وقد أصدرت محكمة اسرائيل العليا قرارا يوم ٦ من ديسمبر سنة ١٩٦٢ بأن الشخص الذى يولد من

---

(١) من كتاب الدولة العربية الكبرى لمحمد كامل المحامى ص ٦٩ .

(٢) من كتاب (أجناس أوربة) للمؤرخ (ربلى) .

أبوين يهوديين ليس من المحتم أن يحصل عـلى الجنسية الاسرائيلية بسبب مولده فقط . وكان هذا القرار بمثابة رفض لطلب الحصول على الجنسية الاسرائيلية الذى تقدم به القس دانيل الذى ولد فى بولندا من أبوين يهوديين وكان هذا القس قد هاجر الى اسرائيل عام ١٩٥٩ وأثارت هذه المسألة مناقشات حامية فى اسرائيل حول سؤال واحد :

من هو اليهودى ؟

ويجدر بالذكر أن برلمان اسرائيل لم يحدد حتى الآن تعريف اليهودى رسميا .

ولكن سلطات الهجرة تقول : « ان اليهودى هو أى شخص يعترف بأنه يهودى ، ولا يدين بأية عقيدة دينية أخرى » [١] .

ويؤكد ذلك أيضا قواميس اللغة العربية : فان كلمة « تهود » معناها صار يهوديا أى دخل فى ملة اليهود [٢] وقد أصبحت كلمة يهودى فى عرف الناس مرادفة للبخيل والشحيح والمرابى القبيح .

---

(١) عن الأهرام المؤرخة فى ١٩٦٢/١٢/٧ .

(٢) من القاموس المحيط والمصباح المنير .

اسرائيل = يعقوب

وأما كلمة « اسرائيل » فهى تطلق علـى « يعقوب » ابن اسحق بن ابراهيم الخليل عليه السلام ، ومعنى اسرائيل بالعبرية : عبد الله . وقد جاء اسم اسرائيل صريحا فى قوله تعالى من سورة آل عمران : «كل الطعام كان حِلاً لبنى اسرائيل الا ما حرّم اسرائيل على نفسه من قبل أن تنزل التوراة » . وفى الاصـحاح الثـانى والثلاثين أن « يعقوب » هـو « اسرائيل » فقد جاء فيه : من أبناء يعقوب الذى سـمى « اسرائيل » للمرة الأولى يوسف الصديق .

وأما كلمة بنى اسرائيل فتطلق على جميع أولاد يعقوب الاثنى عشر .

الصهيونيـــة

وأما الصهيونية فهى منسوبة الى صهيون وهـو أحد تلال القدس ، وهم طائفة من اليهود يسعون لتحقيق فكرة عودة اليهود الى « فلسطين » ليقيموا فيها مركزا روحيا أو دولة تجمـع شملهم ، وفكرة العـودة الى فلسطين وتهويدها جزء لا يتجزأ من العقيدة اليهـودية [١] وكان

---

(١) مؤسس الحركة الصـهيونية هو (هـيرتزل) وقدنبتت فكرة الصهيونية بظهور كتاب (الدولة اليهودية) =

بنو اسرائيل يسكنون مع أبيهم فى أرض كنعان (فلسطين) ولكنهم هاجروا منها الى مصر بسبب المجاعة والقحط وكان أخوهم « يوسف » الصديق اذ ذاك على خزائن مصر الغنية ، فاستقبلهم فيها وأكرمهم على الرغم مما لاقى منهم من صنوف الأذى وضروب المكر به ، وقال لهم « لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين » [1] ، ثم أقاموا بمصر هم وذريتهم زهاء قرنين من الزمان من عهد الأسرة السادسة عشرة من ملوك الهكسوس الذين حكموا مصر الى عهد الأسرة الثامنة عشرة وذلك قبل الميلاد بنحو ألفى سنة ولما اضطهدهم فرعون مصر فى عهد الأسرة الثامنة عشرة أنقذهم موسى عليه السلام من اضطهاده ، اذ أخرجهم من مصر الى سيناء عبر البحر الأحمر ولما اتبعهم فرعون

= وساعد على انتشارها بنجاح مؤتمر بال ويرجع أصل الفكرة الصهيونية الى كتاب وضعه « موريس هيس » تحت عنوان « روما وبيت المقدس » ، ضمنه السبيل الى اقامة نظام اجتماعى مثالى للشعب اليهودى فى فلسطين تكون فيه القدس مركزا لليهود ص ٢٠ من كتاب « لن نكون لاجئين » للدكتور أحمد معوض .

(١) من سورة يوسف ، ومعنى لا تثريب عليكم : لا تأنيب ولا لوم عليكم آية ٩٢ .

وجنوده بغيا وعدوا ، أغرقهم الله فى اليمّ ونجى موسى وقومه من الغرق ومن فرعون وجنوده ، ولكن بنى اسرائيل جحدوا نعمة الله وبآياته البينات من فلق البحر لهم لانجائهم من الغرق ومن اطباقه على فرعون وجنـوده واغراقهم ، وسرعان ما عصوا أمر نبيهم موسى « أتوا على قوم يعكفون على أصنام لهم » قالوا يا موسى اجعل لنا الها كما لهم آلهة ، قال انكم قوم تجهلون ، ان هؤلاء متبّر ما هم فيه وباطل ما كانوا يعملون ، قال أغير الله أبغيكم الها وهو فضلكم على العـالمين ، واذ أنجينـاكم من آل فرعـون يسومونكم سـوء العذاب ، يقتّلون أبناءكم ويستحيون ساءكم ، وفى ذلكم بلاء من ربكم عظيم » [1] . ولما دعاهم موسى الى دخول الأرض المقدسة أرض كنعان « فلسطين » لم يستجيبوا لدعوته وخالفوا أمره جهارا خوفا من أهـل كنعان العمالقة فسجل القـرآن عليهم أقوالهم ومخالفتهم فى قوله تعالى « واذ قال موسى لقومه يا قوم ادخلوا الأرض المقدسة التى كتب الله لكم ، ولا ترتدوا عـلى أدباركم فتنقلبوا خاسرين ، قالوا يا موسى ان فيها قوما جبـارين

---

(١) من سـورة الاعراف من آية ١٣٨ ـ ١٤١ ومعنى متبر : مهلك دينهم على يدى .

وانا لن ندخلها حتى يخرجوا منها ، فان يخرجوا منها فانا داخلون » ثم صمموا على عدم دخولهم الأرض المقدسة أبدا ما دام فيها العمالقة اذ « قالوا يا موسى انا لن ندخلها أبدا ما داموا فيها ، فاذهب أنت وربك فقاتلا انا ها هنا قاعدون » (١) فعاقبهم الله بالتيه فى صحراء سيناء وحرم عليهم دخول الأرض المقدسة أربعين سنة أخبر الله بها موسى فى قوله تعالى « قال فانها محرمة عليهم أربعين سنة يتيهون فى الأرض فلا تأس على القوم الفاسقين » (٢) .

وفى خلال السنين الأربعين مات موسى وأخوه هارون وبعد انقراض جيل التيه الجبان العاصى لنبيه موسى عليه السلام خلفتهم من بعدهم ذريتهم التى غزت أرض كنعان تحت لواء « يوشع » بن نون الذى خلف موسى بعد موته ، ولكنهم لم يستولوا على أكثر من تلال الهضبة الوسطى بفلسطين التى تسمى الآن هضبة (يهودا) واحتفظ الكنعانيون ببعض المعاقل القوية كالقدس ، وكان الفلسطينيون الذين ينتمون الى عنصر بحر ايجه يسيطرون على ساحل فلسطين .

---

(١) من سورة المائدة آيات ٢١ ، ٢٢ ، ٢٤ .
(٢) آية ٢٦ من سورة المائدة .

وقد ذكر القرآن والتاريخ أن اليهود لم يكونوا على وفاق مع جيرانهم من القبائل والشعوب فى ذلك الزمان القديم ، بل كانوا معهم على خلاف ونزاع دائم حتى كثرت عليهم الغارات من كل جانب وظهر عليهم « جالوت » وجنوده من العمالقة ، فاحتلوا ديارهم ، وسبوا نساءهم وأبناءهم فلاذوا بنبيهم « شموئيل » آخر حكام القضاة وقالوا له « ابعث لنا ملكا نقاتل فى سبيل الله قال هل عسيتم ان كتب عليكم القتال ألا تقاتلوا ، قالوا وما لنا الا نقاتل فى سبيل الله وقد أخرجنا من ديارنا وأبنائنا » فاستجاب لطلبهم نبيهم وقال لهم « ان الله قد بعث لكم « طالوت » ملكا » ولكنهم قابلوه بالجدال والنكران ، بدل الرضا والشكران و « قالوا أنى يكون له الملك علينا ونحن أحق بالملك منه ولم يؤت سعة من المال » فقال لهم نبيهم « ان الله اصطفاه عليكم وزاده بسطة فى العلم والجسم ، والله يؤتى ملكه من يشاء والله واسع عليم » [١] .

وليس عجيبا أن يكون قياس الملك عند بنى اسرائيل انما هو المال ، وليس عظماء الرجال مع علمهم أن «طالوت» كان من ذرية بنيامين بن يعقوب جدا لاسرائيليين ولكنه

(١) آية ٢٤٦ ، ٢٤٧ من سورة البقرة .

لم يكن غنيا مثلهم ولذلك قالوا « أنى يكون له الملك علينا ونحن أحق بالملك منه » لأنه لم يؤت سعة من المـال .. ولما تم لطالوت الأمر وكان أول ملوك بنى اسرائيل ، قاد جيوشـه لقتال فريق من الأعـداء الذين كان قائدهم « جالوت » قائد العمالقة ، وفى طريقهم الى ميدان القتال عصى « طالوت » أكثر جنـوده وحكى الله ذلك عنهم فى سورة البقرة « قالوا لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده »[1]. وهذا القول يذكرنا بما قاله آباؤهم لنبيهم موسى من قبل «اذهب أنت وربك فقاتلا ، انا ها هنا قاعدون » . وها هو ذا التاريخ يعيد نفسه فى عصرنا الحاضر فيطير رؤساء اسرائيل الى أمريكا وانجلترا[2] يستنجدون بهم ويقول لهم «بن جوريون» رئيس وزرائهم « لا طاقة لنا اليوم بعبد الناصر وجنوده .. وعلى الرغم من عصيان أكثر جنود طالوت له فان طالوت قد سار مع الفئة القليلة الى ميدان القتال حتى قتل وكاد يقضى على فئتهم القليلة لولا أن قيض الله لهذه المعـركة

---

(١) من آية ٢٤٩ .

(٢) طار بن جوريون ووزير ماليته ووزيرة خارجيته الى هذه الجهات عـدة مرات فى أغسطس وسبتمبر من عامى ١٩٦١ ، ١٩٦٢ كما نشر فى الصحف .

نبى الله « داود » بن يسىّ من سبط يهودا فهزموهم باذن الله وقتـــل داود جالوت » [1] وصدق فيهم قوله تعالى « كم من فئة قليلة غلبت فئـــة كثيرة باذن الله والله مـــع الصابرين » [2] .

اليهود فى عصر داود

تولى داود الملك على بنى اسرائيل من بعد (طالوت) سنة ألف قبل الميلاد ، وكان قائدا حربيا وسياسيا عظيما ، « آتاه الله الملك والحكمة وعلمه مما يشاء » ألان له الحديد فكان يعمل منه دروعا سابغات ، قاتل أعداء قومه فكان النصر حليفه ، ووسع رقعة مملكته فامتدت من الفرات الى أيلة (أيلات) على خليج العقبة وشملت فلسطين وأمـــلاك الآراميين فى الشام التى كانت عاصمتها « دمشق » ومما ساعده على هذا النجاح العظيم توحيده شمال مملكته مع جنوبها ، وتحسين علاقاته مـــع جيرانه الفينيقيين وكانوا يسكنون الساحل من « حيفا » الى الشمال وســـمح لهم

---

(١) من آية ٢٥١ من سورة البقرة .

(٢) آية ٢٤٩ من سورة البقرة وقد ذكر كتاب المسألة اليهودية لعبد الله حسين أن طالوت قتله الفلسطينيون فى موقعة « مونت جيبو » .

بالتجارة عن طريق البحر الأحمر ، فزادت مالية البلاد من المكوس التى كان يجبيها من التجارة حتى استطاع بنـاء الحصون ، وتكوين دولة . وقد بلغت مدة ملكه أربعين سنة قضى أكثرها فى « صهيون » أو مدينة داود وكانت حصنا قريبا من بيت المقدس [1] ويعد عصر داود العصر الذهبى فى تاريخ اليهود .

اليهود فى عصر سليمان

تولى سليمان الملك بعد أبيه داود فورث عنه الذكاء والفطنة ، كما ورث عنه الملك وآتاه الله العلم والحـكمة وفصل الخطاب ، علمه الله صهر النحاس فاستخدمه فيما كان يشيد من المبانى والهياكل العظيمة وكان معاصرا للملكة « بلقيس » ملكة سبأ التى حكى عنها القرآن انها « قالت رب انى ظلمت نفسى وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين » وقصتها مفصلة فى سورة النمل وليس هنا مجال تفصيلها وانما أشرت اليها هنا لأن دخول « بلقيس » فى دين سليمان كان بداية دخول اليهودية فى بلاد اليمن ثم انتشرت فى عهد الدولة الحميرية . وقد توفى سليمان بعد أن ظلت مـدة حكمه أربعين سنة مماثلة لحكم أبيه داود .

(١) صفحة ٥١ من قصص الأنبياء لحامد عبد القادر .

هل ظلت فلسطين لليهود بعد موت سليمان ؟

أترك الاجابة للتاريخ الذى يدل على أنه لم يكن لليهود استقرار فى فلسطين الا فترة وجيزة مقدارها ثمانون سنة هى مدة حكم داود وابنه سليمان ، وهى فترة قليلة جدا اذا قيست بالقرون الكثيرة التى استوطن فيها العرب فلسطين من عهد الكنعانيين قبل الميلاد الى آخر عهد العثمانيين الأتراك بعد الميلاد بنحو ١٨ قرنا من الزمان ، وقد سجل التاريخ كيف كانت فلسطين فيما بعد عهد النبى داود كالكرة فى أيدى الغزاة الأشوريين والبابليين والمصريين والرومان والفرس والعرب الفاتحين من المسلمين .

انقسام المملكة اليهودية

انقسمت المملكة اليهودية بعد موت سليمان قسمين / أحدهما فى الشمال فى منطقة « سامرا » ويسمى مملكة (اسرائيل) والآخر فى الجنوب فى منطقة القدس ويسمى مملكة (يهودا) واستمرت المملكتان على هذا الانقسام واشتعلت نيران الفتن والتنازع بين ملوكها حتى أطمع ذلك الآشوريين فى مملكة اسرائيل فاكتسحوها واستولوا عليها فى عهد (سارجون الثانى) سنة ٧٢١ ق . م .. وأما مملكة (يهودا) الجنوبية فظل يحكمها العبريون حتى

هزم وذبح قائدهم سنة ٦٠٠ ق م . حينما تصدى (لنيخاو الثانى) ملك مصر وأصبحت (يهودا) ولاية وأمست القدس يملكها ملوك عبرانيون ولكنهم كانوا أدوات فى يد بابل ، فثار أهل يهودا على بختنصر وذبحوا موظفيه البابليين فعاقبهم بختنصر عقابا شديدا ، خرب ديارهم ونهب بيت المقدس ثم أحرقه ونسف هيكل سليمان فيه واحتل يهودا وأسر جميع من بقى من اليهود من سكانها وأرسلهم الى أرض بابل .. وأصبحت فلسطين بقسميها الشمالى والجنوبى جزءا من أملاك الدولة البابلية ، وبذلك قضى على استغلال العبريين قضاء مبرما (١) .

ولما تولى « سيروس » الفارس حكم بابل عام ٥٣٨ ق م. أعاد اليهود الى بيت المقدس ليصلحوا أسواره المهدمة وهناك ازداد نفوذهم حتى عادوا الى ثورتهم كدأبهم كلما قويت شوكتهم وقد سجل التاريخ لهم قيامهم بحركة أبدوا فيها شعورهم الدينى فى السنة الثانية من حكم « داريوس » سنة ٥٢٠ ق م (٢) .

---

(١) من كتاب (لن نكون لاجئين) للدكتور أحمد معوض .

(٢) صفحة ١٠٥ من كتاب المسألة اليهودية لعبد الله حسين .

وحينما دب الضعف فى نهضة الفرس قضى الاسكندر الأكبر على دولتهم سنة ٣٣٣ ق م . وكان غزو صور وغزة مفضيا الى دخول اليهود تحت الحكم اليونانى وأصبحوا من رعاياهم فى عهد الاسكندر وحلفائه البطالسة خاضعين لهم أكثر من قرنين من الزمان ولكنهم كانوا يستمتعون بالحرية الدينية مقابل ما يدفعون من الجزية . وكان من اليهود طوائف منعزلة عاشت فى مصر وايران فى سلام .

وفى سنة ١٦٤ ق م استولى الثوار اليهود على « أورشليم » وقد عرفت هذه الثورة بثورة الميكابيين نسبة الى ميكابى وهو لقب قائد الثورة وقد استطاع أخوه الأصغر من بعده وهو « سيمون مكابى » أن يحالف روما حتى نال من الامبراطور « ديمتروس الثانى » اعترافا باستقلال بلاد اليهود عام ١٤٣ ق م ، ثم انحاز اليهود الى جانب روما القوية فى ذلك العهد القديم كما انحاز يهود القرن العشرين الآن الى جانب الولايات المتحدة الأمريكية بعد أن صارت لها الزعامة والقيادة فى العالم الغربى ، وتحت رعايتها وتأييد انجلترا أعلن ميلاد دولة اسرائيل فى فلسطين على أشلاء الفلسطينيين سكان البلاد الأصليين وطرد نحو مليون نسمة منهم الى العراء وهم الذين أطلق

عليهم لقب اللاجئين وكان ذلك فى عام ١٩٤٨ م [١] . وفى عام ٦٣ ق م أثار اليهود الفتنة فى عهد (بويمبى) الرومانى فشردهم من فلسطين مرة أخرى ثم احتل الرومان القدس ونشروا دياناتهم فى منطقة المعبد وحاربوا اليهود وعقائدهم حتى انمحى كل أثر لليهود داخل فلسطين وخارجها وفى عام ١٣٥ ميلادية أمر الامبراطور الرومانى « ادريانوس » بتدمير (أورشليم) فرحل أكثر اليهود عنها وتفرقوا فى مصر وشمال أفريقية وفى أسبانيا وألمانيا وسائر البلاد الأوربية . وحرم عليهم أن يدخلوا القدس الا فى يوم ذكرى تدميرها مقابل جعل معين ليندبوا ويبكوا أمام جدار الهيكل المهدم وسمى مكان اجتماعهم هذا « بالمبكى » [٢] .

وكانت الكنيسة الرومانية تذكى روح العداوة والبغضاء والكراهية فى نفوس أتباعها المسيحيين اذ تعلن أنه قد

---

(١) صفحة ١٧١ ، ١٧٢ من كتاب أرض الميعاد بتصرف .

(٢) حائط المبكى لليهود هو السور الغربى للمسجد الأقصى فى المقدس يذهب اليه اليهود ذكورا وأناثا يوم السبت يبكون ضارعين الى الله أن يعيد اليهود المشتتين فى انحاء الأرض .

« كتب على قتلة الرب أن يعيشوا عيشة تشرد ويحيوا حياة ارتجال لا يستقر لهم قرار » .

وعندما طرد اليهود من الأراضى الفلسطينية تشردوا وتفرقوا فى مختلف أنحاء العالم واختلطوا بسكان البلاد التى رحلوا اليها ، ثم أخذوا يدعون المستضعفين من أهل تلك البلاد الى الدخول فى دينهم ليكونوا « من شعب الله المختار » .. وكان من نتائج دعوتهم قيام مجموعات يهودية متباينة أهمها ثلاث :

١ — الاشكانزيون : لفظة اشكانز التى وردت فى الكتاب المقدس دلالة على ألمانيا ثم عمم اللقب ليشمل يهود وسط أوربة وشرقها .

٢ — السفرديون : نسبة الى لفظ سفرد الذى يدل على اسبانيا والبرتغال أصلا غير من تفرق منهم وانتشر فى جنوب أوربة وشمال أفريقية وبلدان الشرق الأوسط أو هاجر الى انجلترا والأمريكتين .

٣ — الشرقيون : وهم يهود بلاد الشرق الأدنى الأصليون .

وتختلف كل طائفة من هذه الطوائف اليهودية الرئيسية عن غيرها اختلافا كبيرا فى العادات والتقاليد والجنس واللغة

المعتاد التخاطب بها ، ويشبهون الى حد كبير من يعيشون بين ظهرانيهم من الشعوب كما يتكلمون لغتهم ، فيتكلمون الألمانية والانجليزية والفرنسية والروسية والبولندية واللغات السلاقية والعربية ، بالاضافة الى اللغة العبرية والآرامية [1] .

وقد صار لليهود فى القرن العشرين بعد الميلاد زهاء مائة طائفة منفصل بعضها عن بعض تتمتع كل منها بصفاتها البدنية والعقلية ، وتتكلم لغتها الخاصة ، ولها نشاطها العقلى والروحى وعاداتها وتقاليدها التى تشبه كثيرا عادات وتقاليد أهل البلاد التى يعيشون فيها .

ليس لليهود وطن معين

ان تفرق اليهود فى أنحاء الأرض يدل على أنه ليس لهم وطن محدود ، ففى أواخر القرن السابع عشر الميلادى كان معظم طوائف اليهود يعيشون فى البلاد الاسلامية ومنها أسبانيا التى كانت بلدا عربية اسلامية فى ذلك الحين ، وقد بلغ عدد اليهود فى العالم فى القرن الثامن عشر مليونين ونصف مليون كان يقطن منهم فى غربى آسيا مليون يهودى

---

(١) صفحة ١٦ ، ١٧ من كتاب (لن نكون لاجئين) للدكتور أحمد معوض بتصرف .

بما فيهم يهود تركيا وشمال أفريقية ، ويسكن مليون آخر فى روسيا وبولونيا وجاليسيا ونصف مليون موزع فى وسط أوربة وغربها .. وفى منتصف القرن التاسع عشر تضاعف عدد اليهود وأخذ فى الازدياد حتى بلغ سبعة ملايين وثلاثة أرباع المليون نسمة (٧٧٥٠٠٠٠) يعيش منهم فى أوربة ٨٨ر٥٪ فى المائة وفى البلاد الشرقية ٨٪ فى المائة وتفرق الباقون فيما وراء البحار ..

ثم أخذ عدد اليهود يزداد حتى بلغ فى عام ١٩٠٠ للميلاد عشرة ملايين وخمسمائة ألف يهودى فى جميع أنحاء الأرض وكان هذا الرقم هو أكبر رقم ذكر عن عدد اليهود منذ نشأتهم حتى ذلك التاريخ ..

المستندات الدالة على تفرق اليهود

وليس أقوى فى الدلالة على تفرق اليهود فى أنحاء الأرض وعدم تحديد وطن يجمعهم كفلسطين كما يدعون مما نشرته (مجلة الحياة اليهودية) فى عددها السابع عشر المؤرخ فى شهر يولية ١٩٥٢ من احصاء رسمى لتوزيع اليهود على العالم قسم الى ثلاثة أقسام :

أولا — توزيع اليهود فى القارات كلها .

ثانيا — توزيع اليهود فى أوربة وحدها .

ثالثا — توزيع اليهود فى البلاد العربية والشرقية .

وقد بلغ مجموع اليهود فى العالم فى سنة ١٩٥٢ م أحد عشر مليونا وثلثمائة وخمسين ألفا [1] .

وجاء فى الكتاب السنوى الرسمى لحكومة اسرائيل الصادر فى عام ١٩٥٤ م أن عدد اليهود فى العالم قد بلغ أحد عشر مليونا وستمائة ألف . منهم مليون ونصف تقريبا فى الجزء المحتل من فلسطين .. ومنهم مليونان ونصف فى بلدان أوربة الشرقية ومنهم ستة ملايين ونصف فى أمريكا والمملكة المتحدة وثلثمائة ألف فى أوربة الغربية وثمانمائة ألف فى البلاد الاسلامية والشرقية .

والمستند الثالث هو الكتاب السنوى اليهودى الأمريكى الذى ذكر أن عدد اليهود فى العالم قد زاد فى خلال عام ١٩٥٥ م فبلغ أحد عشر مليونا وتسعمائة وثمانية آلاف وأربعمائة وثلاثا وأربعين نسمة . وهذا يعادل ٤٪ فى المائة من سكان العالم وهم موزعون على جميع القارات .

والمستند الرابع هو تقارير ادارة الاستعلامات للمؤتمر اليهودى العالمى نقلا عن صحيفة (هايوم) الصادرة فى

---

(١) جداول توزيع اليهود مدونة فى كتاب (لن نكون لاجئين) صفحة ٢٨ .

٢٩ من ديسمبر ١٩٥٥ ويؤخذ من هذه التقارير أن عدد اليهود قد زاد على اثنى عشر مليونا ، وأن أكثر عدد منهم يقيم فى الولايات المتحدة وهو خمسة ملايين وخمسمائة وستون ألفا .

وكذلك ذكر الكتاب السنوى (هنع هاريس) فى سنة ١٩٥٦ أرقاما تفصيلية عن توزيع اليهود فى العالم وكلها تشهد بأن اليهود ليس لهم وطن محدود ، بل هم متفرقون فى أنحاء الأرض [1] .

هذه بعض المستندات التاريخية الواقعية المفصلة من واقع الاحصاءات الرسمية ، وقد أشارت اليها الكتب المقدسة فقد جاء فى القرآن العظيم من سورة الأعراف قوله تعالى « وقطعناهم فى الأرض أمما » يعنى : فرقهم الله فى أرجاء الأرض أمما وطوائف .. وهذا هو ما قررته أسفار العهد القديم فى ثنية (٢٨ ، ١٥ ، ٢٥) فقد جاء فيها (ان لم تسمع لصوت الرب الهك .. يجعلك الرب منهزما أمام أعدائك فى طريق واحدة تخرج عليهم ، وفى سبع طرق تهرب أمامهم ، وتكون قلقا فى جميع ممالك الأرض) وقد نددت الكتب المقدسة بعصيان اليهود وكفرانهم بنعمة ربهم حتى سلط

---

(١) من كتاب (لن نكون لاجئين) صفحة ٣٠ .

عليهم من أخرجهم من ديارهم ومن سامهم سوء العذاب ومن هزمهم شر هزيمة وأشهرهم مثل بختنصر وفرعون مصر فى العهد القديم ، وهتلر الألمانى فى العصر الحديث .

ومن الحقائق التاريخية أن فلسطين ظلت تحت حكم الرومان أكثر من خمسمائة عام حتى فتحها العرب المسلمون حين فتحوا الشام ، فدخل عمر بن الخطاب القدس وتسلمها من البطريك الرومانى سنة ٦٣٧ م .

وقد اشترط البطريك على عمر عدم الترخيص لليهود بدخول فلسطين . ومع هذا فقد عاش اليهود فى كنف الدولة الاسلامية ولا سيما فى عهد المماليك والترك مستمتعين بالحرية حتى استقروا فى مصر ومقدونيا ، وسالونيك وظفروا بالمناصب العالية (.. وكان ذلك من أسباب هجرتهم الى البلاد الاسلامية وبخاصة بعد أن اضطهدتهم أوربة الوسطى وروسيا . ولذلك قال المؤرخ اليهودى (موريس فرجون) « فى وسع اليهودى أن يقول : ان آبائى سكنوا الصحراوات فى مصر وروما ، وأثينا ، وأسبرطة . تلك البلاد التى كانت موطن المجد العالى الغابر » [١] .

---

(١) صفحة ١٠٣ من كتاب المسألة اليهودية لعبد الله حسين .

استعانة اليهود بالانجليز على فلسطين

انتهز زعماء الصهيونية الذين كانوا فى انجلترا فرصة انهزام الترك وانتصار الانجليز فى الحرب العالمية الأولى ففاوضوا الحكومة البريطانية على أن تدخل فى التسوية بعد الحرب انشاء وطن لليهود فى فلسطين يعترف به القانون الدولى وانتهت هذه المفاوضة بوعد (بلفور) وزير خارجية انجلترا فى ٢ من نوفمبر ١٩١٧ تعهدت فيه الحكومة البريطانية أن تبذل ما فى وسعها لانشاء وطن قومى لليهود مع التزامهم بالمحافظة على الحقوق المدنية والدينية لسكان فلسطين من غير اليهود .. ثم وافقت عصبة الأمم على اقتراح لجنة كان النفوذ فيها (لحايم وايزمان) وهو انتداب بريطانيا العظمى لحكم فلسطين على أساس تهيئة الظروف السياسية والادارية والاقتصادية التى تساعد على قيام وطن قومى لليهود وتكوين دولة يهودية لها حكم ذاتى ..

وفى مؤتمر (سان ريمو) تقرر انتداب بريطانيا على فلسطين فى شهر أبريل سنة ١٩٢٠ فعينت يهوديا انجليزيا صهيونيا متعصبا — مندوبا ساميا لها فى فلسطين هو (سير هربرت صمويل) .. وفى معاهدة (لوزان) مع تركيا سنة ١٩٢٣ م ثبت مركز هربرت وأنشئت الوكالة اليهودية

واعترفت بها الحكومة الانجليزية وحكومة فلسطين وكانت مهمتها الأساسية (انشاء وطن قومى لليهود) وأصبحت فلسطين بعد اتمام الانتداب البريطانى مركزا ليهود العالم يهاجرون اليها من كل مكان بمعدل عشرة آلاف يهودى كل عام ، حتى صار لليهود مائة وعشرون مستعمرة بفلسطين حوالى سنة ١٩٢٨ م وقد زادت هجرة اليهود الى فلسطين بعد الحكم الهتلرى سنة ١٩٣٤ م حتى بلغ عددهم ثمانمائة ألف وكان عدد السكان العرب حوالى المليون نسمة .

ولقد قررت هيئة الأمم تقسيم فلسطين بين العرب واليهود سنة ١٩٤٧ ولكنها فشلت هى وبريطانيا فى تنفيذ هذا التقسيم بسبب ثورات عرب فلسطين ورفضهم تقسيم بلادهم والوصاية الانجليزية عليهم لذلك قررت انجلترا انهاء انتدابها على فلسطين وحددت لذلك ١٥ من مايو سنة ١٩٤٨ وسلمت فلسطين لقمة سائغة لليهود ثم حمتهم من ثورات العرب ، وأمدتهم بالمال والسلاح .. ولكن ذلك لم يثن الجيوش العربية عن محاربة اليهود لاجلائهم عن فلسطين التى اغتصبوها من أهلها مستندين على خداع الانجليز ومؤازرتهم لهم ، فشنت الجيوش العربية المجاورة لفلسطين الحرب على اليهود فى عام ١٩٤٨ م وكادت تقضى عليها فى

أول هجوم لها لولا تخاذل الملك عبد الله ملك شرق الأردن وقائد الجيوش العربية فى ذلك الزمان ، فقد تخلى جيشه عن مهمته ومعـاونته لجيش (مصر) وحذا حذوه جيش العراق والسعودية وانتهت هذه المأساة بالهدنة التى كانت شرا مستطيرا على العرب أجمعين ، وكانت خيرا عظيما لليهود كما سيأتى تفصيله فى موضعه .

الفصل الثاني

اليهود بين المسيحية والاسلام

من أهم أحداث التاريخ التى اتخذت مبدأ من مبادئه الانسانية ، ميلاد المسيح عيسى عليه السلام .

ولما كان فى حياة المسيح وفى سيرته صـــور كثيرة من اضطهاد اليهود لذاته اضطهادا بلغ درجة محاولة قتله وصلبه لولا أن نجاه الله فرفعه اليه وطهره منهم ، كان من الطبيعى أن يكون ميلاد المسيح هو الحلقة الأولى من سلسلة مواقف اليهود من المسيحية والاسلام الذى سطع نوره بمبعث محمد عليه الصلاة والسلام .

« أسباب عداوة اليهود للمسيحية والاسلام »

ان أسباب عداوة اليهود للمسلمين والمسيحيين منشورة فى ثنايا مصادرهم الدينية : كشريعة موسى والتلمود والكتب الدينية الأخرى .. ويؤخذ من هذه المصادر أن اليهـــود كانوا أصحاب أول دعـــوة عنصرية متعصبة عرفها تاريخ

الانسان ومن هذه الدعوة انطلقوا بمبادىء وخطط ذات طابع هام ..

ان لتعاليم اليهودية أمثلة كثيرة تدل على هذا التمييز العنصرى المتعصب ، فمنها فى التوراة نصوص صريحة تميز اليهود من غيرهم وتخصهم بمكانة فائقة ففى الوصية التاسعة من الوصايا العشر « لا تشهد على قريبك شهادة زور » والقريب ، كما فسرته الكتب والتعاليم اليهودية — هو اليهودى فحسب . وفى هذه الوصية دعوة صريحة لتحديد المقياس وتطبيقه فى معاملة بنى اسرائيل وحدهم . أما معاملة غيرهم من الناس فهى بلا تقييد أو تحديد بوازع أو هدف واضح (١) .

وجاء فى التوراة أيضا (ليمت جميع الناس ويحيا اسرائيل وحده) وفيها أيضا (يرفعك الله فوق جميع الشعوب فى الأرض ويجعلك الشعب المختار المقدس) والخطاب للشعب اليهودى .. أما التلمود — أحد كتبهم الدينية فهو محشو بمثل هذه الأساطير ومنها أسطورة : « الشعب المختار » ومنها خرافة « شعب السماء » يعنى اليهود « وشعوب الأرض الدنيا » يعنى غير اليهود من بنى آدم

---

(١) من كتاب اسرائيل : للمؤلفين : هانىء ومحسن .

فقد جاء فى التلمود « نحن شعب الله فى الأرض يسخر لنا الحيوان الانسانى ، وهو كل الأمم والأجناس سخرهم لنا لأنه يعلم أننا نحتاج الى نوعين من الحيوان — : نوع أعجم كالدواب والأنعام والطير ، ونوع كسائر الأمم من أهـل الشرق والغرب . ان اليهود من عنصر الله كالولد من عنصر أبيه ، ومن يصفع اليهودى كمن صفع الله ، يباح لاسرائيل مال أيا كان ، وان املاك غير اليهود كالمال المتروك يحق لليهودى أن يمتلكه »[1] .

ومنها أن اليهود أعز عـلى الله من ملائكته فاذا جرؤ شخص ما على ضرب أحد اليهود كان قد ارتكب جريمة الصفع ضد الذات الالهية نفسها ، ومن يفعل ذلك يستحق الموت .. ومنها يباح لاسرائيل بل يفرض عليهم قتل من أمكنهم من الجوييم[2] واغتصاب أملاكهم وسرقتهم لقد أسفرت هذه النصوص عن وجه النفس اليهودية المعادية أشد العداء لجميع الشعوب (الجوييم) حتى استباح اليهـود قتلهم بل فرضوه فرضا لازما ونفذوه حتى فى الأنبياء والرسل كما

---

(١) المصدر السابق .

(٢) الجوييم : كلمة تطلق على غير اليهود من النـاس (من كتاب اسرائيل بنت بريطانيا البكر لمحمد الزغبى) .

أخبر بذلك القرآن الكريم فى آيات كثيرة منها قوله تعالى « كلما جاءهم رسول بما لا تهوى أنفسهم فريقا كذبوا وفريقا يقتلون » [1] .. وكذلك جاء فى الاصحاح ٢٣ من انجيل متى (من قول المسيح لليهود ها أنا أرسل اليكم أنبياء وحكماء وكتبة فمنهم من تقتلون وتصلبون ومنهم من تجلدون فى مجامعكم) ..

وكذلك أسفرت هذه النصوص عن التمييز العنصرى اليهودى والدعوة الى استغلال شعوب الأرض الأخرى واغتصاب أموالهم بل سرقتها . ومعنى ذلك ان القتل والسرقة حلال فى شريعة اليهود .

وهكذا ظلت تلك الروح اليهودية المعادية مسيطرة على اليهود منذ ظهرت المسيحية والاسلام يتوارثها الأنبياء عن الآباء فى جميع العصور سواء منهم الذين لا يعترفون الا بالعهد القديم ويعرفون « بالقرئيين » أم الذين اعترفوا بالتلمود وساروا على تعاليمه ويعرفون بالربانيين ..

ولا شك أن هذه النصوص واجبات دينية عند اليهود مفروضة ولازمة التنفيذ على الجميع .. ولذلك نرى الشعوب

---

(١) فى سورة المائدة .

التى يعيش اليهود بين ظهرانيها على حـــذر منهم وقلق من غدرهم ونقضهم للعهود وعدم اخلاصهم وخيانتهم .

وهذه الحياة الوضيعة هى التى دعت المؤرخ اليهودى « سيمحا بيتسكر » صاحب المدرسة الجديدة فى روســيا الى التحسر على حيــاة اليهود فى جميــع الأوطان اذ قال « ان وطننا بلد أجنبى ، لا عيش لنا فيه ووحدتنا تشريد وتضامننا مع سائر الشعوب عداء سافر لكل ما هو يهودى ، وسلاحنا ذل ومسكنة ، ووسيلة الدفاع عن أنفسنا الفرار ، أما مستقبلنا فهو سر فى باطن الغيب ، فياله من دور وضيع يقوم به اليهود على مسرح الحياة .. » [1] .

عقد اليهود النفسية

وكل ما وصف به (بينسكر) اليهود فى كلماته السابقة صحيح ومطابق للواقع ولكن ينقصه التعليل وبيان الأسباب التى حملت اليهود على أن يقوموا بدورهم الوضيع على مسرح الحياة كما عبر عنه مؤرخهم المتحسر عليهم :

فمن أقوى العقد النفسية اليهودية اعتقــادهم الدينى الموروث بأنهم غرباء وانهم يعيشون فى بلاد أطلقوا عليها لقب

---

(١) كتاب هـــذه هى الصـــهيونية لاسرائيل كوهين صفحة ٣٣ .

« المنفى » كما أطلقوا على « فلسطين » ومن حولها أرض الميعاد . وهذا تفسير سبب قول « بينسكر » (ان وطننا بلد أجنبى لا عيش لنا فيه) .. وأما العداء السافر لكل ما هو يهودى فيرجع سببه الى اعتقادهم بأنهم شعب الله المختار وأن غيرهم من الشعوب « الجوييم » سخر لهم كالدواب والأنعام والطير ، كما سبق بيانه فى نصوصهم الدينية ، فكيف لا يعادى النـــاس اليهود الذين يستبيحون أموالهم وأعراضهم وديارهم ؟ : . ويعتقدون أنهم من عنصر السادة وأن غيرهم من عنصر العبيد ؟ : وأما كون وحدتهم تشريدا ، فقد أيده التاريخ والواقع والكتب المقدسة بسبب عداوتهم عـــلى غيرهم ممن يعيشون معهم فى وطن واحـــد أو ممن يجاورونهم كلما كثر عددهم وقويت شوكتهم فيسلط الله عليهم من يسومهم سوء العذاب ويفرق جمعهم ويشتت شملهم كما سلط عليهم البابليين والفرس والرومان والعرب قديما ، وهتلر وزعماء الألمان حديثا والى هذا أشار القرآن بقوله « وقطعناهم فى الأرض أمما » [1] .. وأما كون سلاحهم الذلة والمسكنة فقد بينه القرآن فى قوله تعالى « وضربت عليهم الذلة والمسكنة وباءوا بغضب من الله ، ذلك بأنهم كانوا

---

(١) فى سورة الاعراف .

يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير الحق ، ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون » [١] .. ولقد قال « بينسكر » أما مستقبلنا فهو سر فى باطن الأرض ، وهذا مبلغ علمه كبشر ، وأما علم الله فقد بينه مستقبل اليهود المظلم فى قوله تعالى « واذ تأذن ربك ليبعثن عليهم الى يوم القيامة من يسومهم سوء العذاب » [٢]) ..

وقد وقع ما أنبأ به القرآن من سوم اليهود العذاب فى الأزمنة الماضية والحاضرة ولابد أن يساموا العذاب الى يوم القيامة مهما عاونهم الأمريكيون والانجليز ، وان موقفهم فى فلسطين وتجمعهم فى وسط الدول العربية وتحرشهم بهم وعدوانهم عليهم كلما سنحت لهم الفرصة للانقضاض عليهم من دواعى العمل على طردهم من فلسطين واعادة أهلها اللاجئين اليها مهما طال الزمان ، وعلى الباغى تدور الدوائر..

ان دويلة اليهود التى صنعها الاستعمار فى فلسطين منذ عام ١٩٤٨ وأقام بنيانها ومستعمراتها على أرض العرب المغتصبة ، لن تبقى طويلا ، لأن دولة الظلم ساعة ، ولأن

---

(١) من سورة البقرة وكرر مثل هذا المعنى فى آل عمران ايضا .

(٢) آية ١٦٧ سورة الأعراف .

تجمع اليهود فى أى مكان لمؤذن بتفرقهم وتشردهم كما حدث فى جميع العصور الخالية ، فلا يغرنهم امداد الأمريكان لهم بصواريخ (هــوك) أو غيرها فان صواريخ الايمان التى أودعتها الأديان فى قلوب المسلمين والمسيحيين أقوى من صواريخ الأمريكان ..

وما الســلاح لقوم كل عدتهم

حتى يكونوا من الأخلاق فى أهب

موقف اليهود من ميلاد المسيح

ولد المسيح عيسى عليه السلام فى بيت لحم على مقربة من بيت المقدس كعبة الشام من قديم فى عهد (هيرودوس) الكبير رأس الأسرة التى حكمت اليهود من سنة ٢٥ ق م . الى سنة ٧٠ ق م . وكانت فلسطين اذ ذاك خاضعة لسيادة الرومان بصفتها جزءا لا يتجزأ من الشام (سوريا) فاستقبل اليهود ميلاد المسيح بالاتهامات الباطلة التى لا تليق به وبأمه السيدة مريم ابنة عمران العذراء .. فلما رأوها (أتت به قومها تحمله ، قالوا يا مريم لقد جئت شيئا فرِيًّا) يعنى أمرا منكرا ثم قالوا عليها بهتانا عظيما وزورا لا يمكن أن يصدق فيها للأسباب الآتية :

ان بيئتها وتربيتها الدينية ، وحياتها كلها وحصانتها ، كل أولئك يشهد لها بالطهر والعفاف كما يشهد لها قول اليهود أنفسهم مخاطبين لها « يا أخت هارون ما كان أبوك امرأ سوء وما كانت أمك بغيا » [1] .

وسبب نسبة مريم لهارون انه كان رجلا من قومها مشهورا بالصلاح والتقوى على عادة العرب فى أقوالهم يا أخا الكرم يا أخا العرب ، اذا أرادوا وصف الرجل بالكرم أو العروبة .. وكذلك شهد اليهود لمريم بطهارة أبويها وحصانتهما فى قولهم لها « ما كان أبوك امرأ سوء وما كانت أمك بغيا » ولقد أثبت العلم والواقع أن للوراثة وللبيئة أثرا قويا فى أخلاق النشء وتربيتهم .. وأكبر شهادة لمريم عليها السلام هى شهادة عيسى نفسه وقد أنطقه الله بها وهو فى المهد صبيا حينما أشارت اليه : فقالوا « كيف نكلم من كان فى المهد صبيا » قال عيسى وهو فى المهد « انى عبد الله آتانى الكتاب وجعلنى نبيا وجعلنى مباركا أينما كنت ، وأوصانى بالصلاة والزكاة ما دمت حيا ، وبرا بوالدتى ولم يجعلنى جبارا شقيا » ..

---

(١) من سورة مريم من آيات ٢٧ ــ ٣٢ .

موقف اليهود من رسالة المسيح

لما أرسل الله عيسى بن مريم عليه السلام الى بنى اسرائيل وجاءهم بالبينات الدالة على صـدقه والمؤيدة لرسالته ، كاحياء الموتى وابراء الأكمه والأبرص — قابلوه الا قليلا منهم وهم الحواريون — بالكفر والتكذيب واتهموه بالسحر كما جاء فى قوله تعالى من سورة الصف فى آية ٦ « واذ قال عيسى بن مريم يا بنى اسرائيل انى رسول الله اليكم مصدقا لما بين يدى من التوراة ، ومبشرا برسول يأتى من بعدى اسمه أحمد ، فلما جاءهم بالبينات قالوا هذا سحر مبين » .. وجاء فى سورة آل عمران تسجيل ايمان الحواريين بما أنزل على عيسى وتصديقهم لدعوته فى قوله تعالى « فلما أحس عيسى منهم الكفر قال من أنصارى الى الله ، قال الحواريون نحن أنصار الله آمنا بالله واشهد بأنا مسلمون ، ربّنا آمنا بما أنزلت واتبعنا الرسول فاكتبنا مع الشاهدين » (١) ..

ولقد أثار « يوسيفوس » المؤرخ اليهودى الى موقف رؤساء اليهود وكبرائهم من المسيح ودعوته فى سياق خبر قتل (يوحنا) المعروف عند النصارى بيوحنا المعمدان وعند

---

(١) آية ٥٢ ، ٥٣ من سورة آل عمران .

المسلمين باسم (يحيى) فقال : وكان فى هذا الوقت[1] رجل حكم اسمه يسوع صانع عجائب كثيرة ، وكان معلما للذين أرادوا أن يتعلموا الحق ، وكان له تلاميذ كثير من اليهود والأمم وهو المسيح الذى اشتكى عليه رؤساؤنا وأكابر أمتنا وسلمه « بيلاطس النبطى » للصلب [2] .. وليس أدل على عداوة اليهود للمسيح مما جاء فى الاصحاح السابع من انجيل « يوحنا » من (أن المسيح كان يتفادى فى البدء الذهاب الى اليهود ، لأن اليهود كانوا يطلبون قتله) .. ولكن الله نجى رسوله عيسى من القتل والصلب ورفعه اليه وألقى شبهه على من دلهم عليه فصلب فظن اليهود أنه عيسى ، وقالوا « انا قتلنا المسيح عيسى بن مريم رسول الله ، وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم وان الذين اختلفوا فيه لفى شك منه ، ما لهم به من علم الا اتباع الظن وما قتلوه يقينا ، بل رفعه الله اليه ، وكان الله عزيزا حكيما » [3] .. ولقد عجب أبو العلاء المعرى فى سخرية

---

(١) يشير الى وقت قتل يحيى فى زمن ملك اليهود هيرودس الثانى ابن هيرودس الأول ولد المسيح فى عهده .

(٢) من تاريخ بنى اسرائيل جزء ٣ صفحة ٥١٥ .

(٣) آية ١٥٧ و ١٥٨ من سورة النساء .

وتهكم ومنطق قوى من اهانة المسيح ثم صلبه فى زعمهم فقال الأبيات التى فى الهامش [١] . ولقد غلا فى عداوة المسيح أكابر اليهـود كما قال مؤرخهم (يوسيفوس) وكهنتهم ولا سيما طائفة الفريسيين والصدوقيين بسبب ما سـمعوه من أقواله وتعاليمه التى لا تلائم طباعهم وأهواءهم كالدعوة الى توحيد الله وعبادته .. « وقال المسيح يا بنى اسرائيل اعبدوا الله ربى وربكم ، انه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ، ومأواه النار وما للظالمين من أنصار » [٢] .. ومما زادهم غيظا وحنقا على المسيح عدم محافظته عـلى يوم السبت ومخالفته للرسوم والطقوس والعبادات اليهـودية ودعوتهم الى اتباع تعاليمه ..

من تعاليم المسيح

اذا أعدنا النظر فيما مضى من تعاليم اليهود التى وضعها كهنتهم فى التلمود وغيره ، واعتنقها اليهود ورضوا عنها

---

(١) من رسالة الغفران للمعرى :

عجبـا للمسـيح بين أناس … والى الله والـد نسـبوه

أسلمته الى اليهود النصارى … وأقـروا بأنهم صـلبوه

يشـفق الحـازم اللبيب على الطفل ، اذا ما لـداته ضربـوه

(٢) آية ٧٢ من سورة المائدة .

لأنها تلائم طباعهم من قتل غير اليهودى أو النبى اذا جاءهم بما لا تهوى أنفسهم ومن استباحة الغدر والخيانة ومن عبادة المال والسعى للحصول عليه بكل الوسائل ، اذا أمعنا النظر وتأملنا فى تلك التعاليم ظهر لنا سر كراهية اليهـود لعيسى ، تلك الكراهية الشديدة التى حملتهم عـلى ارادة قتله للتخلص منه ومن تعاليم عيسى التى أثارت اليهود ضده الى درجة قتله : دعوتهم الى المحبة والسـلام والتسامح ، والرفق بالضعفاء ، والبر بالفقراء والمساكين ، والمضطهدين ، وحثهم على التقوى والتواضع وسـائر مكارم الأخلاق .. ومنها نهيهم عن التكالب على الدنيا ، وعن الغل والحقـد والحسد والكبر والأنانية والنفاق والفواحش والمنكرات ..

وعلى الرغم من تأييد عيسى للوصـايا والتشريعات المذكورة فى التوراة لم يخفف ذلك من عداوتهم له لأنه خفف من بعض التكاليف والقيود واهتم بالجوهر دون العرض ، ونعى على اليهود وبخاصة رؤساء الدين منهم ما ارتكبوا من انحرافات فى دينهم ، وآثام دينية وخلقية ، وما دأبوا عليه من استغلال الدين والاتجار به لمآربهم الشخصية ، لآخر ما هو مسطور فى انجيل « متى » من الاصحاح الرابع الى ما بعده ..

ولما اشتدت معارضة اليهود لعيسى عليه السلام كان يرد عليهم ردودا مفحمة بأسلوب الموعظة حينا ، وبأسلوب الأمثال حينا ويخاطبهم بقوله : « الويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المراءون ، فانكم تشبهون القبور المجصصة التى ترى للناس من خارجها حسنة وهى من داخلها مملوءة عظام أموات وكل نجاسة ، كذلك أنتم يرى الناس ظاهركم مثل الصديقين وأنتم من الداخل ممتلئون رياء واثما ..

تأييد الاسلام للمسيحية ضد اليهود

لقد أيد الاسلام المسيحية فى أن اليهود قد مكروا بالمسيح حتى هموا بقتله ، لأن القرآن أنبأ بهذا فى قوله تعالى من سورة آل عمران « ومكروا » يعنى اليهود بعيسى « ومكر الله وهو خير الماكرين ، اذ قال الله يا عيسى انى متوفيك ورافعك الىّ ومطهرك من الذين كفروا »[1] . ولكن المسيحية تختلف مع الاسلام فى صلب المسيح بحجة أن المسيح افتدى بدمه خطايا الخلق ، وحجة الاسلام قوله تعالى : « ولا تكسب كل نفس الا عليها ولا تزر وازرة وزر أخرى »[2]. وقوله فى آية أخرى « كل نفس بما كسبت

(١) من سورة آل عمران آيتى ٥٤ و ٥٥ .

(٢) من سورة الأنعام آية ١٦٤ .

رهينة » [1] . وفى آيتين غير السابقتين « وقولهم أنا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وما قتلوه وما صـلبوه ولكن شبّه لهم . وان الذين اختلفوا فيه لفى شك منه ، ما لهم به من علم الا اتباع الظن وما قتلوه يقينا — بل رفعه الله اليه وكان الله عزيزا حكيما » [2] . ومن الحقائق الأدبية الطريفة التى تؤيد عداء اليهود الشديد للمسيح أن شـبه المتنبى مقامه بين أهل « نخلة » فى عدائهم الشديد له بمقام المسيح بين اليهود فقال :

ما مقــامى بأرض نخــلة الا
كمقــام المسيح بين اليهــود

و « نخلة » قرية لبنى كلب على بعد ثلاثة أميال من بعلبك .

موقف اليهود من الحواريين أتباع عيسى

الحواريون هم أتباع عيسى وتلاميذه المخلصون الذين آمنوا برسالته وكانوا له أنصارا كما جاء فى القرآن الكريم فى قوله تعالى « فلما أحس عيسى منهم الكفر » يعنى من اليهود من بنى اسرائيل قال من أنصارى الى الله « قال

(١) من سورة المدثر ٣٨ .
(٢) من سورة النساء آيتى ١٥٧ و ١٥٨ .

الحواريون نحن أنصار الله آمنا بالله واشهد بأنا مسلمون »
ربنا آمنا بما أنزلت واتبعنا الرسول فاكتبنا مع الشاهدين[1].
وجاء فى الاصحاحين التاسع والعاشر من انجيل متى « ان
أول من آمن بعيسى من الحواريين اثنا عشر ثم كثر تلاميذه
وأتباعه حتى عين منهم اثنين وسبعين آخرين للكرازة للأمم
(للتبشير والدعوة الى الله والى مكارم الأخلاق التى دعا
اليها السيد المسيح) .

والذى يفهم من السفر الأول من الأسفار الثلاثة
والعشرين من العهد الجديد أن هؤلاء الرسل قد نشطوا
نشاطا عظيما فى سبيل رسالتهم وأن كثيرا من يهود ويونان
وغيرهم من الشعوب قد استجابوا لهم وأخذت تقوم فى كل
مكان جماعة منهم تحمى الكنيسة وتعيش عيشة شبه
اشتراكية ، ولكن معظم اليهود قد وقفوا منهم موقف
المنقبض المتجهم حتى قاد رؤساؤهم حركة مناوأة ومطاردة
قوية ضد أولئك الرسل فكانوا يؤذونهم بمختلف الوسائل
ويهيجون عليهم الناس ويستعدون عليهم الحكام ويتهمونهم
بالفساد واثارة الفتن والاخلال بناموس الشريعة الموسوية
حتى تمكنوا أحيانا من اعتقال بعضهم وقد أدى

(١) من سورة آل عمران آيتى ٥٢ و ٥٣ .

هــذا الى مشــادة وحــركات مضادة سلبية وايجابية بين بنى اسرائيل والجمــاعات المسيحية وكثيرا ما أفضت الى نزاع مستمر وقتال دائم ..

القديس بولس الرسول وموقف اليهود

ولقد أشار القديس بولس أحد الحواريين فى بعض رسائله الى موقف اليهود منه ومن المسيحيين وجميع الناس فقال فى رسالته « الى روما » عن اليهود كما جاء فى الاصحاح الثالث انهم لم يعرفوا سبيل السلام « وليست مخافة الله أمام أعينهم » ، هل الله لليهود فقط ؟ أليس هو للأمم أيضا وفى الاصحاح الحادى عشر (جلدنى اليهود خمس مرات وضربت بالعصا ثلاث مرات ورجمت مــرة وانكسرت بى السفينة ثلاث مرات وقضيت ليلا ونهارا فى عمق البحر) .

الفصل الثالث

موقف اليهود من المسيحيين فى القرن الأول الميلادى

استمر اليهود فى عدائهم الشديد للمسيحيين منذ القرن الأول الميلادى كما جاء فى تاريخ مصر المسمى بالكافى لمؤلفه (شاروبيم) انه قد حدثت ثورات يهودية فى مصر فى القرن الأول الميلادى فى عهد طباروس (١٤ — ٢٩ ب . م) ضد السلطات الرومانية حتى أن اليهود قتلوا نائب القيصر فى عهد (كلود) (٤١ — ٥٠ ب م) ثم سارت الفتنة بين اليهود وأهل الاسكندرية فاقتتلوا قتالا شديدا حتى سارع القيصر الرومانى الى التهدئة وسمح لليهود بانتخاب نقيب يقضى بينهم وفق رسومهم وأحكامهم حتى فى عهد نيرون (٥٤ — ٦٨ ب . م) قد شبت الفتنة ثانية بينهم وبين أهل الاسكندرية من مصريين ويونانيين واستمرت أمدا غير قصير . وقد مثل اليهود بضحاياهم بقسوة مما جعل الامبراطور يأتى الى مصر ويضربهم ضربة قاصمة ثم تمكن الروم بعد ذلك من

دخول مدينة (أورشليم) بقيادة « تيطس » [1] وفتكوا باليهود وأطلقوا فى المدينة والحرم يد السلب والتدمير حتى دمرت (أورشليم) ودمر المعبد وفنى اليهود فى المدينة قتلا وجوعا بأيدى الرومان وأيديهم معا . ويفهم من روايات الدبس فى الجزء الثانى من المجلد الثالث والرابع من كتاب تاريخ سورية أنه بقى فى فلسطين شرازم من اليهود بعد خراب أورشليم على الرغم من جلاء كثير منهم عن فلسطين وتفرقهم فى كل قطر وبخاصة فى الأقطار المجاورة لفلسطين مثل مصر وقبرص وتدمر وليبيا وبين النهرين [٣] .

اليهود يأكلون لحوم قتلاهم ويشربون دماءهم

ومما تقشعر له الأبدان ما ذكره الدبس فى تاريخ سورية فى الجزء الثانى من المجلد الثالث من صفحة ٥٦٨ الى ما بعدها أن اليهود هاجوا وماجوا فى قبرص والقيروان ومصر فى عهد الامبراطور « تراجان » الرومانى (٩٨ — ١١٧ ب م) وقتلوا كثيرا من الوثنيين واليونان ويظن بعض المؤرخين أن كثيرا من المسيحيين قد هلكوا فى هذه الوقائع . اما أن يكون اليهود قتلوهم لبغضهم لهم أو قتلهم الوثنيون لعدم تمييزهم من اليهود .

---

(١) تيطس هو ابن وسباسيا قائد نيرون .

ولقد أظهر اليهود من القسـوة والهمجية ما لا يكاد يصدق اذ كانوا يأكلون لحوم قتلاهم ويشربون دماءهم ، ويتحزمون بأمعائهم ويلتفون بجلودهم ، وقد شـطروا أجسام كثيرين من رءوسهم الى أسفلها وأرغموا كثيرين على قتل بعضهم بعضا ، معللين ذلك بالثأر لدم آبائهم الذين هلكوا أيام (تيطس الرومانى) .

وقد روى أن عدد الذين قتلهم اليهود فى ليبيا والقيروان مائتان وعشرون ألفا وفى قبرص وحدها مائتان وأربعـون ألفا أما الاسكندرية فان أهلها قد تغلبوا عـلى اليهـود وقتـلوا من كان منهم فيهـا وقد أثخن قادة (تراجان) والقبرصيون فى اليهود الذين فى الجزيرة القتل ، وسنوا قانونا حرموا به الجزيرة على اليهـود . وأرسل (تراجان) الى ليبيا ومصر قائدا على رأس جيش كبـير فأهلك من اليهود فيهما جمعا غفيرا . وقائدا آخر على رأس جيش الى ما بين النهرين فأوقع فيهم ملاحم .

اليهود شوكة مؤلمة فى جسم الانسانية

ويبدو من هذه الصـورة المؤلمة التى صـورها التاريخ لليهود من واقع أعمالهم فى عصورهم المختلفة أنهم شـوكة مؤلمة فى جسم الانسانية ، ان علاقتهم بغيرهم من الشعوب

علاقة ضغن وحقد وعداوة شديدة كانت ولا تزال من أقوى أسباب اثارة الفتن والقلاقل والدسائس والحروب التى مزقتهم فى البلاد كل ممزق حتى حرم عليهم دخول « أورشليم » فى عهد القيصر « ادريان » (١١٧ — ١٣٨ م) الا يوما واحدا فى السنة ليبكوا على خراب المدينة ولم يسمح لهم بتلك الزيارة الا بعد دفع غرامة كبيرة فكان فى هذا القمع الشديد الذى يظن أنه كان فى سنة ١٣٢م الضربة النهائية لليهود فى فلسطين . وبعد انقضاء عهد القيصر « ادريان » عاد اليهود الى الثورة واحداث القلاقل فى عهد القيصر « أنطونيوس » الذى خلف « أدريان » (١٣٨ — ١٦١ م) فأخمد الرومان ثورتهم [١] .

وقد ذكر الدبس فى تاريخ سورية أن فلسطين كانت فى عهد القيصر « ساويرس » (١٩٧ — ١١٢ م) مضمارا للخلافات الدينية كما كانت فى أكثر أوقاتها ساحة للهرج والشغب والسطو مما حمل القيصر على الشدة وعدم الاغضاء والتساهل فى المخالفات .

ومما ذكره الدبس أيضا فى الجزء الثانى من المجلد الرابع من تاريخ سورية أن الامبراطور « يوليانيوس »

---

(١) كتاب اخترنا لك ج ٣ صفحة ٥٣١ ــ ٣٥٢ .

(٣٦١ — ٣٦٣ م) قد ارتد عن النصرانية ورأى أن يغيظ النصارى فيجدد الهيكل لليهود لأن النصارى كانوا يقولون بناء على التنبؤات — ان الهيكل سيبقى خرابا الى الأبد — ثم اتصل باليهود فى سبيل ذلك فابتهجوا وسارعوا الى « أورشليم » من كل فج لمساعدة عمال القيصر على تحقيق عزيمته ولكن الحرائق كانت تشب مرة بعد أخرى فتحرق الأخشاب والمعدات وتحرق كثيرا من اليهود مما عده النصارى معجزة ربانية ضد اليهود ويرى بعض الباحثين كما جاء فى كتاب « اسرائيل بنت بريطانيا البكر » ان الدسائس التى قام بها اليهود كان لها أثر قوى فى ارتداد القيصر عن النصرانية وفى اضطهاده للنصارى ومطاردتهم .

وفى تاريخ كلدة وآشور المؤرخ (آدى شو ٣) ان اليهود فى بلاده كانوا كلدة وآشور كانوا يبغضون المسيحيين . أشد البغض وكانوا يحرضون ملوك فارس عليهم ، ولا سيما أن اعتنق قياصرة الروم النصرانية وان الأكاسرة كانوا يضطهدون النصارى اضطهادات شديدة بسبب هذا التحريض وقد أورد المؤلف سلسلة من وقائع الاضطهاد الذى تعرض له نصارى العراق من الأكاسرة .

ويؤخذ من هـذا النص التاريخى ان اليهـود كانوا يبغضون المسيحيين وانهم كانوا يحرضون الأكاسرة عـلى اضطهادهم اضطهادا شديدا .

وجاء فى كتاب الكافى للمؤرخ « شارويبم » ان يهود الاسكندرية قاموا بمظاهرة دينية بمناسبة عيد الفصح فى عهد القيصر « مرقانوس » (٤٥٠ — ٤٥٧ م) وصـلبوا جسما على مثال المسيح فثار عليهم النصارى ، واشتبكوا معهم فبعث القيصر جيشا خاصا فنكل بهم تنكيلا شديدا .

وكذلك ثار اليهود السامريون فى منطقة « نابلس » على القيصر « جوستنبان » (٥٦٧ — ٦٢٧) م وملكوا عليهم شخصا اسمه « يوليانوس » ووثبوا على مدينـة « بيسان » فأحرقوا كنائسها واستحوذوا على نابلس وقتلوا الكثير من أهلها كما قتلوا أسقفها وكهنتها . وخربوا القرى المجاورة لها . فجمع قائد جيش « جوستنبان » جنـوده وزحف بهم على « يوليانوس » وجيشه فهزمهم شر هزيمة وقبض على « يوليانوس » وقطع رأسه وأرسله مع تاجه الى القيصر . وكان عدد الذين قتلوا من اليهود السامريين عشرين ألفا .

موقف اليهود من المسيحية فى انطاكية وأورشليم وصور وقبرص والاسكندرية

ولقد جاهر اليهود بالعصيان فى أنطاكية فى عهد القيصر « فوقا » (٦٠٢ — ٦١١ م) ووثبوا على المسيحيين وقتلوا بطركهم وأحرقوا منازلهم ومنازل بعض الأعيان ، وقتلوا أهلها فأخذت الحمية القيصر « فوقا » فأمر بتعميد اليهود وتنصيرهم ولو بالاكراه ، وأرسل أحد عماله الى « أورشليم » حيث كثر عددهم فيها فجمع اليهود وأنذرهم فأبوا فعمدهم مكرهين . فهاجوا وماجوا وشغبوا واشتبكوا مع النصارى والجنود فى أورشليم واسكندرية وانطاكية فى معارك شديدة فبطش بهم « فوقا » قتلا وتشريدا وكذلك ثار اليهود فى صور فى عهد « هرقل » (٦١١ — ٦٤١ م) وأرسلوا رسلا الى بنى ملتهم فى قبرص ودمشق وأورشليم يحرضونهم على الثورة بسبب غزو الفرس لبلاد الشام التى استولوا عليها سنة ٦١٥ م وسبوا كثيرا من نصاراها فبادر اليهود الى شراء عدد كثير من السبى يتراوح بين ٨٠ و ٩٠ ألفا وذبحوا الجميع عن آخرهم ولقد ذكر المؤرخ

(أدى يشير) زيادة على ما تقدم أن اليهود أشعلوا النار فى جميع الكنائس وفى أورشليم ومن بينها كنيسة القيامة التى يعتقدون أن فيها قبر المسيح فلما انتصر هرقل واسترد البلاد شكا اليه النصارى مافعله بهم اليهود فأوقع بهم وطرد من كان منهم فى أورشليم وحرم عليهم سكناها .

أليس اليهود شوكة فى جسم الشعوب التى يعيشون معها فى جميع العصور ؟

أليس اليهود قساة القلوب ، قلوبهم كالحجارة أو أشد قسوة ، وان من الحجارة لما يتفجر منه الأنهار وان منها لما يشقق فيخرج منه الماء وان منها لما يهبط من خشية الله . ألا ان قسوة اليهود ووحشيتهم قد جاوزت حد الانسانية ولكن حب الانتقام والحقد الأسود والعداوة والبغضاء التى تغلى فى الصدور هى مصدر كل الشرور .

موقف اليهود من المسيحية فى بلاد اليمن

ولما جلا أكثر اليهود من « أورشليم » نزحوا الى تدمر واليمن والحجاز واستقر فريق منهم كبير فى يثرب (المدينة) واستقر فريق آخر فى القرى الواقعة فى طريق يثرب والشام مثل خيبر ووادى القرى وفدك وتيماء

واشتغلوا بالتجـارة والزراعة والصناعة والربا حتى أثروا وتحسنت أحوالهم المالية .

ولما انتشرت الديانة اليهودية فى اليمن ويرجح أن ذلك كان فى القرن الخامس بعـد الميـلاد وكان النصارى قد سبقوهم اليها ، ونشروا دينهم فيها ويرجح ان ذلك كان فى القرن الرابع الميلادى « وصارت اليهودية دين ملوك حمير ملوك اليمن » أخذ رجال الديانتين يتنافسون ويكيد بعضهم لبعض بسبب العداء الذى كان مشتدا بين اليهود والنصارى فى مختلف أنحاء بلاد الشام ومصر حتى كسب اليهود الجولة الأولى على النصارى فى أوائل القرن السادس الميلادى فى عهد الملك الحميرى « ذى نواس » وكان ذو نواس ميالا الى دين موسى راغبـا عن الوثنية التى تورط فيها قومه ، وكان قد أخذ هذا الدين عن اليهود الذين هاجروا الى اليمن وأقاموا بها .

قصة أصحاب الأخـدود

« وذو نواس هذا » هو صاحب قصة أصحاب الأخدود فيما يرويه المؤرخون . وقصة أصحاب الأخدود قد نزل فيها قوله تعالى من سورة البروج « قتل أصحاب الأخدود ، النار ذات الوقود ، اذ هم عليها قعود وهم على ما يفعلون بالمؤمنين

شهود . وما نقموا منهم الا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد » .

وخلاصة قصة الأخدود أن رجلا صالحا من أتباع عيسى يدعى « قيمون » كان قد هاجر من بلاد الروم واستقر بنجران فاتبعه أهلها لما رأوا من صلاحه ، وظل عددهم يزداد حتى استفحل أمرهم فلما نما خبرهم الى « ذى نواس » سار الى نجران ودعا أهلها الى الدخول فى اليهودية والا قتلوا ، فلما أبوا شق لهم أخدودا أوقد فيه النار ثم ألقى بهم فيه ومن لم يمت بالنار قتل بالسيف ومثل به .

وقد هلك منهم على حسب رواية كتب السيرة عشرون ألفا ثم أن أحد النصارى قد فر من القتل ومن يد ذى نواس الى بلاد الروم ، ولما كانت الروم بعيدة عن اليمن كتب القيصر الى النجاشى ليأخذ الثأر من ملك اليمن وكانت الحبشة فى القرن السادس الميلادى — وعلى رأسها النجاشى فى ذروة مجدها تجرى بأمرها على البحار تجارة واسعة ، لها أسطول قوى يمخر عباب البحار ويجعلها تتسلط بنفوذها على ما جاورها من البلاد وكانت حليفة الامبراطورية البيزنطية ورافقه علم المسيحية على البحر الأحمر كما كانت بيزنطة ترافقه رافعة علم المسيحية على البحر الأبيض المتوسط .

فلما بلغت النجاشى رسالة القيصر ، بعث مع اليمنى

الذى حمل اليه هذه الرسالة جيشا جعل على رأسه «ارياط»
وفى جنده « ابرهة الأشرم » وغزا ارياط اليمن وملكها بأسم
عاهل الحبشة وظل على حكمها حتى قتله « أبرهة » صاحب
الفيل وجلس على عرش اليمن مكانه هو وأبناؤه من بعده
وكانت مدة حكم الحبشة لليمن اثنين وسبعين سنة ثم
حكمها الفرس من بعدهم حتى جاء الاسلام فدخلت مع سائر
البلاد فى دين الله [١] .

هذا هو موقف اليهود من المسيحية قبل الاسلام

هذا هو موقف اليهود من المسيحية الذى سجله التاريخ
من واقع حياتهم منذ ظهرت المسيحية على ظهر البسيطة فى
جميع الممالك والبلدان ومنذ دعاهم عيسى عليه السلام الى
الحق والى عبادة الله ربه وربهم ورب العالمين كما جاء فى
القرآن « يا بنى اسرائيل اعبدوا الله ربى وربكم انه من
يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار وما للظالمين
من أنصار » وكما ورد فى الانجليل يا بنى اسرائيل ان الله
هو أبو البشر جميعا وان مملكة السماء تظلل كل أتباعه
وفى هذا القول نفى لأسطورة ان « اليهود شعب الله المختار »

(١) كتاب حياة محمد للدكتور محمد حسين
هيكل ص ٧٤ .

ويؤيده قوله تعالى « بل أنتم بشر ممن خلق » ردّ على قولهم « نحن أبناء الله وأحباؤه » [1] .

ولكن أكثر اليهود لم يؤمنوا بربهم بل اتبعوا الباطل من أساطير وتعاليم دينية محرفة وظلوا يعملون ما استطاعوا لصد تيار المسيحية التي استظلت بلواء الروم فى امبراطوريتها المترامية الأطراف ، حتى حملت كنيستها الغربية (كنيسة بولس الرسول) عبء الانتقام من قتلة المسيح فى اعتقادهم ومن معذبيه هو وأتباعه الحواريون ، واشتعلت نيران الحرب بين اليهود وبين المسيحيين فى جميع بقاع الأرض حتى العصور الوسطى حين شهدت محاكم التفتيش أقسى ما حل باليهود من تعذيب [2] .

---

(١) فى سورة المائدة آية ١٨ .

(٢) من كتاب أرض الميعاد ص ١٩ .

الفصل الرابع

موقف اليهود بعد ظهور الاسلام

ولما ظهر الاسلام وهاجر محمد صلى الله عليه وسلم من مكة الى يثرب (المدينة) وكان يقيم بها يهود بنى قينقاع ، كما يقيم يهود بنى قريظة فى فدك ويهود بنى النضير فى مقربة منها ويهود « خيبر » فى شمالها ، بادر اليهود بادىء الرأى الى حسن استقبال محمد (ص) ظنا منهم أن فى مقدورهم استمالته اليهم وادخاله فى حلفهم والاستعانة به على تأليف جزيرة العـرب حتى تقف فى وجه النصرانية التى أجلت اليهود « شعب الله المختار » عن فلسطين أرض الميعاد فى زعمهم .

وقد بادر محمد صلى الله عليه وسلم الى رد تحيتهم بأحسن منها فوثق صـلاته بهم وتحدث الى رؤسائهم وتقرب اليه كبراؤهم وربط بينه وبينهم برباط المودة باعتبار أنهم أهل كتاب وما كانت الأيام لتزيده باليهود ولتزيد اليهود به

الا مودة وقربى حتى عقد بينه وبينهم معاهدة صداقة وتحالف لتقرير حرية الاعتقاد [١] .

تغيير موقفهم نحو محمد (ص)

ولما قويت شوكة المسلمين فى (يثرب) وامتد سلطان محمد الروحى القوى حتى غزا نفوس بعض أحبارهم ورؤسائهم كعبد الله بن سلام الذى أسلم هو وأتباعه وكان عالما حبرا من كبار أحبارهم وعلمائهم — خافوا أن يمتد هذا السلطان الروحى القوى الى عامتهم وبدأ القلق يتسرب الى نفوسهم وأخذت أوهامهم وأمانيهم التى عقدوا على أساسها العهد معه بما كانوا يضمرونه فى قلوبهم من ضمه الى صفوفهم ليزدادوا به على النصارى منعة وقوة — أخذت هذه الأوهام تنقشع سحبها وتتبخر مع الأيام فكرتها فغيروا موقفهم منه وأجمعوا أمرهم على أن يكيدوا له وينكروا نبوته ويعلنوا أن تعاليمهم تمنعهم أن يعترفوا بنبى من غير بنى اسرائيل فبدءوا حربهم ضده بالجدل (والحرب أولها كلام) واتخذوا من النفاق والخداع والرياء أثوابا تحجب أغراضهم ومآربهم حتى استطاع بعض أحبارهم وعلمائهم

---

(١) من كتاب حياة محمد للدكتور هيكل ص ٢١٨ ، ٢٢٠ .

اظهار اسلامهم والجلوس بين المسلمين مظهرين امـارات التقوى والصـلاح ومن أشهرهم رأس المنافقين عبـد الله ابن أبى .

فقد روى أنه وأصحابه قد استقبلهم نفر من الصحابة فقال لقومه : انظروا كيف أرد هؤلاء السفهاء عنكم . فأخذ بيد أبى بكر رضى الله عنه وقال له مرحبا بالصديق سيد بنى تميم وشيخ الاسلام وثانى رسول الله فى الغار الباذل نفسه وماله لرسول الله صلى الله عليه وسلم ثم أخذ بيـد عمر رضى الله عنه وقال له مرحبا بسيد بنى عدى الفاروق القوى فى دينه الباذل نفسه وماله لرسول الله صلى الله عليه وسلم ثم أخذ بيد على رضى الله عنه وقال له : مرحبا بابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وختنه سيد بنى هاشم ما خلا رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فنزل فى هؤلاء المنافقين من اليهود قوله تعالى « واذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا واذا خلوا الى شياطينهم قالوا انا معكم » فى الثبات على اليهودية « انما نحن مستهزئون بالمسلمين ساخرون منهم خادعون لهم » (١) .

---

(٤) من تفسير البيضاوى جـ ١ ص ٧٦ .

وهكذا كشف القرآن الكريم الحكيم عن صور نفاق اليهود ومزق ثيابهم وثياب ريائهم فى كثير من آياته ولا سيما فى سورة البقرة وآل عمران والنساء والأنفال بل أنزل فيهم سورة كاملة هى « سورة المنافقين » والملاحظ أن القرآن قد نعت المنافقين من اليهود وغيرهم فى ثلاث عشرة آية فى صدر سورة البقرة على حين أنه اقتصر على أربع فى نعت المتقين وعلى آيتين فى نعت الكافرين . وذلك لأن المنافقين الذين آمنوا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم هم أخبث الكفرة وأشد خطرا على المجتمع الانسانى لاخفاء نياتهم السيئة واظهار مودتهم وصداقتهم فهم أعداء فى الباطن أصدقاء فى الظاهر بل أحط أنواع الجنس البشرى ولذلك هددهم الله سبحانه بالقائهم فى أسفل جهنم اذ قال الله تعالى فى سورة النساء « ان المنافقين فى الدرك الأسفل من النار ولن تجد لهم نصيرا » .

وكان من أسلحة اليهود ضد محمد وأصحابه بالاضافة الى سلاح الجدل والنفاق سلاح الدسائس والفتن فقد فتنوا الأوس والخزرج وأهاجوا بعضهم على بعض بما نبشوه

بينهم مما دفنه الاسلام من حرب « يوم بعاث » التى انتصر الأوس على الخزرج قبيل هجرة الرسول الى المدينة .

ولولا حكمة محمد صلى الله عليه وسلم ولولا سلطانه الروحى القوى وتذكيره مسلمى الأوس والخزرج بما ألف الاسلام بين قلوبهم ، لتفرقت كلمتهم ، وتمزقت وحدتهم وعادوا الى ما كانوا عليه قبل الاسلام أعداء متخاصمين متقاتلين .

ولكنهم استجابوا للرسول فألقوا السلاح واستغفروا ربهم وعانق بعضهم بعضا وانصرفوا مع رسول الله فنزل فيهم قوله تعالى مخاطبا اياهم اظهاراً لجلالة قدرهم واشعارا بأنهم هم الأحقاء بأن يخاطبهم الله بقوله « يأيها الذين آمنوا ان تطيعوا فريقا من الذين أوتوا الكتاب يردوكم بعد ايمانكم كافرين » [1] .

ومن أسلحة علماء اليهود وأحبارهم ضد محمد صلى الله عليه وسلم ورسالة الاسلام تلك الأسئلة المغرضة التى كانوا يوجهونها اليه ، لعلهم يلقون ظلمات من الشك على نور الاسلام ، فينفض المسلمون من حول الرسول وهذه الأسئلة وسيلة من وسائل الصد عن سبيل الله حتى لمن آمن وصدق بمحمد (ص) يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم

(١) آية ١٠٠ من سورة آل عمران .

ويأبى الله الا أن يتم نوره ولو كره الكافرون . هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون . ومن أسئلة اليهود لمحمد . اذا كان الله هو الذى خلق الخلق جميعا فمن الذى خلقه ؟ . فأجابهم محمد « ص » بقوله تعالى « قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد » ومنها ما روى أنه عليه الصلاة والسلام سئل عن أول بيت وضع للناس لما قالت اليهود للمسلمين : قبلتنا قبل قبلتكم فقال صلى الله عليه وسلم « المسجد الحرام ، ثم بيت المقدس » ، وسئل كم بينهما ؟ فقال : أربعون سنة فنزل قوله تعالى « ان أول بيت وضع للناس للذى ببكة مباركا وهدى للعالمين » (1) .

ومن أسئلتهم أيضا : ان أحبار اليهود سألوا محمدا صلى الله عليه وسلم أن يأتيهم بكتاب من السماء جملة يثبت أنه رسول الله فنزلت الآية « يسألك أهل الكتاب أن تنزل عليهم كتابا من السماء — فقد سألوا موسى أكبر من ذلك . فقالوا أرنا الله جهرة فأخذتهم الصاعقة بظلمهم » (2) .

والمعنى ان استكبرت يا محمد ما سألوه منك فقد سأله

---

(1) آية ٩٦ من سورة آل عمران .

(2) آية ١٥٣ من سورة النساء .

أباؤهم موسى عليه السلام أكبر منه ، فهم فى جهالاتهم وتعنتهم وتحديهم كآبائهم فى عهد موسى لم يغير عقولهم وثقافتهم تطور الزمان ومرور الأيام .

وروى أن اليهود قالوا لقريش : سلوا محمدا عن أصحاب الكهف وعن ذى القرنين وعن الروح . فان أجاب عنها أو سكت فليس بنبى وان أجاب عن بعض وسكت عن بعض فهو نبى . فبين لهم الرسول القصتين وأبهم الروح كما هو فى التوراة فنزل قوله تعالى « ويسألونك عن الروح . قل الروح من أمر ربى ، وما أوتيتم من العلم الا قليلا » (١) .

ومن أسلحة اليهود ضد محمد صلى الله عليه وسلم محاولتهم فتنته عن بعض ما أنزل الله اليه .

فقد روى أن أحبار اليهود قالوا : اذهبوا بنا الى محمد لعلنا نفتنه عن دينه . فقالوا : يا محمد قد عرفت أننا أحبار اليهود وانا ان اتبعناك اتبعك اليهود كلهم ، وأن بيننا وبين قومنا خصومة : فنتحاكم اليك فتقضى لنا عليهم ونحن نؤمن بك ونصدقك . فأبى ذلك رسول الله (ص) فنزل قوله تعالى : —

---

(١) آية ٨٥ من سورة الاسراء .

« وأن احكم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله اليك فان تولوا فاعلم أنما يريد الله أن يصيبهم ببعض ذنوبهم ، وأن كثيرا من الناس لفاسقون ، أفحكم الجاهلية يبغون [1] وحكم الملة الجاهلية هو الميل والمداهنة فى الحكم ومتابعة الهوى .

الخلاف بين اليهودية والاسلام ونصارى نجران :

ولما اشتد الخلاف بين اليهود ومحمد صلى الله عليه وسلم ، انتهز نصارى نجران هذه الفرصة وأرسلوا منهم وفدا الى المدينة لعلهم يزيدون الجدال احتداما ، ويوسعون شقة الخلاف بين المسلمين واليهود ولعل المسلمين يغلبون اليهود فيريحوا النصرانية المتاخمة فى اليمن وفى الشام من دسائس اليهود . وحدث بين الاسلام والمسيحية واليهودية معارك جدلية حامية « فأنكر اليهود رسالة محمد (ص) وقالوا له « لست مرسلا . قل كفى بالله شهيدا بينى وبينكم ومن عنده علم الكتاب » [2] كما أنكروا رسالة عيسى عليه السلام وكفروا به فى قوله تعالى وبكفرهم وقولهم على مريم بهتانا عظيما وقولهم انا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم

---

(١) آيتى ٤٩ و ٥٠ من سورة المائدة .
(٢) آية ٤٣ من سورة الرعد .

رسول الله الى آخر الآية التى فى سورة النساء والمراد هنا كفرهم بعيسى عليه السلام .

ولما احتدم الجدال بين اليهود والنصارى ومحمد (ص) « وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله وقالت طائفة منهم « ان الله هو المسيح ابن مريم وقالت طائفة أخرى « ان الله ثالث ثلاثة وقال محمد (ص) الله عليه وسلم عن ربه وما من اله الا اله واحد وقال فى آية أخرى « اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله والمسيح ابن مريم وما أمروا الا ليعبدوا الها واحدا لا اله الا هو سبحانه عما يشركون » لما احتدم الجدال نزل قوله تعالى من سورة آل عمران ثمانون آية ونيف حجاجا على من زعم من وفد نجران أن عيسى كان ربا ومن هذه الآيات الثمانين آية قد حسم بها محمد (ص) هذه المحاجة وهذا الجدل العنيف المتفتت أكثر ، وهى قوله تعالى « قل يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم » يعنى لا يختلف فيها القرآن والتوراة والانجيل وهذه الكلمة هى « ألا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله » [١] .

(١) آية ٦٤ من سورة آل عمران .

فأية كلمة أقوى فى الاقناع من هذه الكلمة ؟ أية كلمة سواء اتفق عليها موسى وعيسى ومحمد وسائر الأنبيـاء والكتب مثل توحيد الله وعبادته دون غيره من المخلوقات ؟ فلا عزير ابن الله ولا المسيح ابن الله ولا الأحبار والرهبان أرباب من دون الله وانما هم بشر مثلنا .

روى أنه لما نزلت آية « اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله » قال عدى بن حاتم : أكنا نعبـدهم يا رسول الله ؟ قال : أليس كانوا يحلون لكم ويحرمون فتأخذوا بقولهم ؟ قال نعم . قال هو ذاك [١] ..

قصة أبى حارثة النصرانى

وقد يقتنع بعض الرؤساء بالحق ولكن حب الرياسـة كثيرا ما يحول دون الجهر بآرائهم واعلان اقتناعهم كما ثبت ذلك فى قصة أبى حارثة وهو أعلم نصـارى نجران الذين وفدوا على النبى محمد (ص) وسـمعوا دعوته واعتقدوا به واقتنعوا بكلمته ، فقد روى انه أدلى الى أحد رفقائه باقتناعه بما يقول محمـد ، فلما سأله رفيقه : — فما يمنعك منه وأنت تعلم هذا ؟ كان جوابه : يمنعنى ما صنع

(١) من كتاب حياة محمد بتصرف .

بنا هؤلاء القوم ، شرفونا ، ومولونا ، وأكرمونا ، وقد أبوا الا خلافه ، فلو فعلت ، نزعوا منا كل ما ترى ..

قصة فنحاص اليهودى وأبى بكر الصديق

ولما دمغ حق محمد (ص) باطل اليهود وفل سلاح جدلهم معه ، ظنوا انهم قادرون على التغلب على صحابته فحولوا أسلحة المعركة الى ساحة صحابته ، ولم تقتصر على الألسنة والحجة والبيان ، بل تجاوزتها الى الضرب بالأيدى أحيانا كما يتبين من قصة (فنحاص بن عازوراء اليهودى مع أبى بكر رضى الله عنه) :

روى أن النبى (ص) كتب مع أبى بكر الى يهود (بنى قينقاع) يدعوهم الى الاسلام ، واقام الصلاة وايتاء الزكاة وأن يقرضوا الله قرضا حسنا ، فقال (فنحاص) ان الله فقير حتى سأل القرض ونحن عنه أغنياء ، ينهاكم عن الربا ويعطيناه ، يشير فنحاص الى قوله تعالى « من ذا الذى يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له أضعافا كثيرة » [1] .

ولكن أبا بكر الدمث الأخلاق ، اللين الطبع ، الحليم ، قد غضب غضبا شديدا ولم يطق الصبر على هذا الجواب فلطم وجه فنحاص وقال له : « لولا ما بيننا وبينكم من عهد

(١) فى سورة البقرة آية ٢٤٥ ...

لضربت عنقك ، فشكا فنحاص الى رسول الله وأنكر ما قاله .
فنزل قوله تعالى « لقد سمع الله قول الذين قالوا ان الله فقير ونحن أغنياء ، سنكتب ما قالوا وقتلهم الأنبياء بغير حق ونقول ذوقوا عذاب الحريق » (١) ..

وهذه القصة مثل من أمثلة الجدل والتضليل أو التشكيك فى دين الاسلام والأمثلة على ذلك كثيرة وليست خاصة بفنحاص وانما هى عامة بين اخوان فنحاص من اليهود أمثال « كعب بن الأشرف » و « مالك » « وحيى ابن أخطب » « ووهب بن يهوذا » « الذين قالوا ان الله عهد الينا ألاّ نؤمن لرسول حتى يأتينا بقربان تأكله النار ، قل قد جاءكم رسل من قبلى بالبينات وبالذى قلتم فلم قتلتموهم ان كنتم صادقين » (٢) .

سلاح المؤامرات اليهودى

ولما فل سلاح الجدل اليهودى ودمغ حق محمد (ص) باطل أحبارهم وعلمائهم اتخذوا سلاح المؤامرات وانتهاز الفرص وتعكير الصفاء للاصطياد فى الماء العكر .. ومن أمثلة ذلك أنه حينما ذاعت أنباء انتصار المسلمين وهزيمة المشركين

---

(١) آية ١٨١ من سورة آل عمران ...
(٢) آية ١٨٣ من سورة آل عمران .

فى غزوة بدر الكبرى قابلها يهود المدينة بالنكران والتشكيك فى صحتها حتى أرجفوا فى المدينة وأذاعوا أن محمدا قد قتل وأن أصحابه قد هزموا واستدلوا على اشاعتهم الكاذبة بوجود ناقة القصواء بالمدينة وقالوا لو أنه انتصر لجاء راكبا عليها وكذبوا (زيد بن حارثة) الذى كان يذيع أنباء انتصار المسلمين فى غـزوة بدر بالمدينة وكان ممتطيا ناقة النبى القصواء .

ولكن سرعان ما أظهر الحق والواقع كذب اليهود فأسقط فى أيديهم حتى قال زعيمهم « كعب بن الأشرف » حين علم بمقتل سادات مكة « هؤلاء أشراف العرب وملوك الناس والله لئن كان محمد أصاب هؤلاء القوم لبطن الأرض خير من ظهرها » .. ولما استيقن الخبر وتحقق وقوعه ذهب الى مكة يحرض على محمد وأصحابه وينشد الأشعار ثم رجع بعد ذلك الى المدينة فجعل يشبب بنساء المسلمين وينهش أعراضهم حتى اضطر المسلمون الى الدفاع عن النفس والدين والعرض فقتلوه .

يهود بنى قينقاع وحادثة المرأة العربية

ولما قتل كعب اشتد غيظ يهود المدينة من محمد (ص) ومن المسلمين وغلت مراجل غيظهم حتى انفجرت بحادثة دنيئة هى حادثة المرأة العربية وخلاصتها : —

« ان أحد اليهود كشف عن سوءتها من خلفها فى سوق بنى قينقاع فصاحت حتى وثب رجل من المسلمين على الصائغ اليهودى الذى كانت تجلس أمامه فقتله وشدت اليهود على المسلم فقتلوه فاستصرخ أهل المسلم المسلمين على اليهود فوقع الشر بينهم وبين (بنى قينقاع) فطلب محمد (ص) الى اليهود أن يكفوا عن أذى المسلمين وأن يحفظوا عهد الموادعة أو ينزل بهم ما نزل بقريش فاستخفوا وعيده ونقضوا عهده وأجابوه بقولهم « لا يغرنك يا محمد أنك لقيت قوما لا علم لهم بالحرب فأصبت منهم ، انا والله لئن حاربناك لتعلمن أننا نحن الناس » .

وجاء فى سيرة ابن اسحاق أنه نزل فى يهود بنى قينقاع قوله تعالى « قل للذين كفروا ستغلبون وتحشرون الى جهنم وبئس المهاد ، قد كان لكم آية فى فئتين التقتا فئة تقاتل فى سبيل الله وأخرى كافرة يرونهم مثليهم رأى العين والله يؤيد بنصره من يشاء ان فى ذلك لعبرة لأولى الأبصار » [1] .

اعلان اليهود الحرب على محمد (ص)

وكان فى رد اليهود على محمد (ص) عندما طلب منهم أن يحفظوا عهد الموادعة الذى بينه وبينهم كان فى ذلك اعلان

---

(١) آية ١٢ و ١٣ من سورة آل عمران .

حربهم عليه ونقض عهدهم معه وتهديدهم له وغرورهم بأنفسهم الذى تبين فى قولهم .. : —

« آنا والله لئن حاربناك لتعلمن أنا نحن الناس فلم يكن من سبيل بعد ذلك الا الحرب التى أعلنها اليهود فاضطر المسلمون اليها اضطرارا وحاصروا اليهود فى دورهم خمس عشرة ليلة متتابعة حتى اضطروا الى التسليم ورضوا بالجلاء عن المدينة الى « أذرعات » على حدود الشام » .

روى أن عبادة بن الصامت رضى الله عنه قال لرسول الله (ص) ان لى موالى من اليهود كثيرا عددهم وانى أبرأ الى الله ورسوله من ولايتهم وأوالى الله ورسوله فقال ابن أبى رأس المنافقين : انى رجل أخاف الدوائر لا أبرأ من ولاية موالى فنزل قوله تعالى « فترى الذين فى قلوبهم مرض يسارعون فيهم يقولون نخشى أن تصيبنا دائرة » [1] .

والمراد بمن فى قلوبهم مرض هو ابن أبى وأمثاله يسارعون فى موالاة الأعداء ومعاونتهم معتذرين بأنهم يخافون أن تصيبهم دائرة من دوائر الزمان بأن ينقلب الأمر وتكون الدولة للكفار الأعداء .

---

(١) فى سورة المائدة من آية ٥٢ والتفسير من البيضاوى ص ١٥٤ جـ ٢ .

لما هزم المسلمون فى غزوة أحد طمع يهود بنى النضير فى المسلمين واغتنموا هذه الفرصة فنقضوا عهدهم مع محمد (ص) وهو (ألا يكونوا له ولا عليه) أعنى على الحيـاد وخرج بعض زعمائهم الى مكة وحالفوا أبا سفيان ضد محمد والمسلمين فأرسل اليهم الرسول (ص) محمد بن سلمة من الأوس وقال له (قل ليهود بنى النضير ان رسول الله أرسلنى اليكم أن اخرجوا من بلادى لقد نقضتم العهد الذى جعلت لكم بما هممتم به من الغدر بى لقد أجلتكم عشرا فمن رؤى بعد ذلك ضربت عنقه) .. فأخذ اليهود بعد ذلك يتداولون الأمر بينهم وقد ظهر عبد الله بن أبى وأصحابه يحرضون اليهود على البقاء فى ديارهم وأموالهم وحصونهم ووعدهم بامدادهم بألفين من قومهم ومن غيرهم من العرب تشجيعا لهم وتثبيتا حتى رد زعيمهم (حيى بن أخطب) قائلا كلا بل أنا مرسل الى محمد أنا لا نخرج من ديارنا وأموالنـا فليصنع ما بدا له) وانقضت الأيام العشرة ولم يخرجوا من ديارهم . فسار اليهم المسـلمون وصـبحوهم بالكتائب وحاصروهم عشرين ليلة وكان اليهود يخربون بيوتهم بأيديهم كلما اضطروا الى تركها فلما طال عليهم الحصار وضاقت

عليهم الأرض بما رحبت واستحكمت حلقات الحصار وأخلف ابن أبى وأصحابه وعدهم طلبوا من النبى أن يؤمنهم على أموالهم ودمائهم حتى يخرجوا من المدينة فصالحهم محمد (ص) على أن يجلوا عنها فجلوا وعلى رأسهم زعيمهم (حيى بن أخطب) وذهب أكثرهم الى الشام ولحقت طائفة منهم بخيبر والحيرة .

وفى جلاء بنى النضير نزلت سورة الحشر ومنها قوله تعالى « ألم تر الى الذين نافقوا يقولون لاخوانهم الذين كفروا من أهل الكتاب لئن أخرجتم لنخرجن معكم ولا نطيع فيكم أحداً أبدا وان قوتلتم لننصرنكم والله يشهد أنهم لكاذبون لئن أخرجوا لا يخرجون معهم ولئن قوتلوا لا ينصرونهم ولئن نصروهم ليولن الأدبار ثم لا ينصرون ، لأنتم أشد رهبة فى صدورهم من الله ذلك بأنهم قوم لا يفقهون » [1] .

والمراد هنا بالذين نافقوا هم ابن أبى وأصحابه وقد حدث ما أنبأت به هذه الآيات المعجزة فى شأنهم .

---

(١) فى سورة الحشر أو « النضير » من آية ١١ الى ١٣ .

لم يبق من اليهود بيثرب بعد جلاء بنى قينقاع وبنى النضير الا يهود « بنى قريظة » وكان بينهم وبين محمد (ص) والمسلمين عهد موادعة وظلوا فى المدينة « يثرب » مستمتعين بحريتهم ومشمولين برعاية المسلمين ومودتهم

وكانت قريش ويهود بنى قينقاع وبنى النضير وعرب غطفان وهذيل والقبائل المتاخمة للشام تتربص كل منها بمحمد وأصحابه الدوائر ، وتود كل واحدة لو تستطيع أن تجد الفرصة للقضاء على هذا الدين الجديد الذى أصبح له من الحول والقوة ما جعله يظهر على الدين كله فى بضع سنين .

لذلك نقض يهود بنى قريظة عهدهم وخانوا وغدروا اذ قال سيدهم « كعب بن أسد » مَن رسول الله ؟ لا عهد بيننا وبين محمد ولا عقد » . وانضموا الى الأحزاب فى حرب المسلمين .

(حفر الخندق وهزيمة الأحزاب)

ولما سمع محمد باقبالهم حفر الخندق حول المدينة ثم خرج اليهم فى ثلاثة آلاف مقاتل ليحول الخندق بينه وبين الأحزاب ويساعد المسلمين فى حربهم وجاء الأحزاب من

أعلى الوادى من قبل المشرق ومن آسفل الوادى من قبل المغرب وعسكر هناك جنودهم التى بلغ عددها أربعة أضعاف جنود المسلمين ومضى على الفريقين نحو شهر لا حرب بينهم الا الترامى بالحراب والحجارة حتى أرسل الله عليهم ريحا باردة فى ليلة شاتية قد أخصرتهم [١] . وسفت التراب فى وجوههم وأطفأت نيرانهم وقلعت خيامهم وماجت الخيل بعضها فى بعض وكبرت الملائكة فى جوائب المعسكر فقال « طليحة بن خويلد الأسدى » أما محمد فقد بدأكم بالسحر فالنجاة النجاة فانهزموا من غير قتال وولوا مدبرين وفى ذلك يقول الله تعالى « يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ جاءتكم جنود » يعنى الأحزاب « فأرسلنا عليهم ريحا وجنودا لم تروها وكان الله بما تعملون بصيراً اذ جاءوكم من فوقكم ومن أسفل منكم واذ زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا هنالك ابتلى المؤمنون وزلزلوا زلزالا شديدا » الى أن قال تعالى فى هزيمة الأحزاب « ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا وكفى الله المؤمنين القتال وكان الله قويا عزيزا » [٢] .

---

(١) أخصرتهم الريح : أصابتهم ببرد قارس .

(٢) فى سورة الأحزاب آيات ٩ ، ١٠ ، ١١ ، ٢٥ .

وفى صبيحة الليلة التى انهزم فيها الأحزاب أمر الله نبيه محمدا على لسان جبريل بالسير الى بنى قريظة فأذن فى النـــاس ألا يصلوا العصر الا فى بنى قريظة فحاصروهم احدى وعشرين ليلة حتى جهدهم الحصار فقال لهم محمد (ص) تنزلون على حكمى فأبوا فقال : « تنزلون على حكم سعد بن معاذ ؟ فرضوا به لأنه من الأوس حلفائهم فحكم سعد بقتل مقاتليهم وسبى زراريهم ونسائهم فكبر محمد (ص) وقال لقد حكمت بحكم الله » . فقتل منهم ستمائة أو يزيدون من بينهم زعيمهم « حيى بن أخطب » وأسر منهم سبعمائة تنفيذا للحكم الذى اختاروه برضاهم ونزل فى يهود بنى قريظة قوله تعالى « وأنزل الذين ظاهروهم من أهـــل الكتاب من صياصيهم وقذف فى قلوبهم الرعب فريقا تقتلون وتأسرون فريقا وأورثكم أرضهم وديارهم وأموالهم وأرضا لم تطئوها وكان الله على كل شيء قديرا[١] وقد سجل حسان ابن ثابت على بنى قريظة مظاهرتهم لكفار قريش أعـــداء محمد الذين تحزبوا عليه وانحرفوا عن الحق وأمعنوا فى البغى والعدوان فكان مصيرهم أسوء مصير فقال :

(١) فى سورة الأحزاب آية ٢٦ ، ٢٧ .

تعاقد معشر نصروا قريشـــــا

وليس لهم ببلدتهم نصـــــيرُ

هم أوتوا الكتاب فضـــيعوه

وهم عمى عن التــــوراة بور

كفرتم بالقــــران وقد أتيتم

بتصديق الذى قال النذيـــــر

فهان عـــلى ســـراة بنى لؤى

حريق بالبـــويرة مستطير (١)

تخوف المسلمين ويهود خيبر دفع الفريقين الى الحرب

ليس من السياسة ولا الكياسة أن يأمن المسلمون غدر يهود خيبر شـــمال المدينة وبخاصة بعد اجلاء اخوانهم عن يثرب (المدينة) هل يأمنونهم وهم يتربصون بهم الدوائر ويترقبون الفرصة للقضاء عليهم واعادة اليهود الى المدينة بعد ذلك ؟ .. أيأمنونهم ويأمنون قيصر الروم وكسرى الفرس أن يوقد أحدهما أو كلاهما نار العداوة الكامنة فى قلوبهم ضد المسلمين ؟ أيأمن المسلمون اليهود وهم (أشد عداوة للمسلمين من قريش لأنهم أقسى منهم قلوبا على

---

(٤) من كتـــاب الاسرائيليين والمؤامرة الكبرى للدكتور جمال الرمادى ص ٥٢ .

أعدائهم وأعطش منهم للدماء لو مكنتهم الفرص ؟ فلو أمد الروم والفرس اليهود وحرضوهم على المسلمين الذين أجلوا اخوانهم يهود المدينة عنها لأعلنـوها حربا ضروسا عـلى المسلمين وأصبحوا خطرا جسيما يهدد المدينة من حدودها الشمالية .

وكذلك لم يكن يهود خيبر بالآمنين غزو المسلمين لهم ولذلك فكر بعضهم فى تكوين كتلة منهم ومن يهود وادى القرى وتيماء ليغزوا يثرب ، وتحمس الفريقان وتأهب كل منهما لملاقاة خصمه وكانت جموع اليهود فى خيبر من أقوى الطوائف الاسرائيلية بأسا وأوفرها مالا وأكثرها سـلاحا وأقواها حصونا لقيامها فوق الصخور والجبـال وطول ممارسة أهلها للحرب والقتال حتى توقع كثير من قريش أن تدور الدائرة على المسلمين فى هذه الموقعة التى تعد من أكبر المواقع وأشدها ، ولكن المسلمين خرجوا مستبسلين لا يعرف التردد الى نفوسهم سبيلا ، ووقفوا أمام حصون خيبر متأهبين كاملى العـدة حاصروهم وقاتلوهم قتـالا شديدا أبلى فيه البطل (على بن أبى طالب) رضى الله عنه بلاء حسنا شهد له به أعداؤه والتاريخ فقد رؤى أنه تترس بباب كبير بعد أن طاح ترسه وظل يكافح حتى فتح الحصن .

ولما طال حصار خيبر وكثر قتلاهم وقوادهم وسقطت حصونهم واحدا بعد الآخر فى أيدى المسلمين استولى اليأس على اليهود فطلبوا الصلح على أن تحقن دماؤهم فقبل الكريم الصفوح المتسامح محمد (ص) الصلح وأبقاهم على الأرض التى آلت اليهم بحكم الفتح على أن يكون لهم نصف ثمرها مقابل أعمالهم ..

وبعد فهل كانت اليهود تقبل ما قبله محمد والمسلمون لو كانوا هم المنتصرين على المسلمين ؟ .

ان التاريخ يجيب بعكس ذلك ويستشهد بجرائم اليهود ضد المسلمين قديما وحديثا مما سنفرد له فصلا خاصا فيما بعد .

محاولة اليهود قتل محمد (ص) غدرا

ولما عجزت مؤامرة اليهود وحروبهم عن هزيمة محمد والمسلمين عمدوا الى قتله غدرا كدأب آبائهم فى قتل أنبيائهم ومن أمثلة ذلك ما روى من أن عمرو بن جحاش ابن كعب من يهود بنى قريظة قد هم بقتل محمد (ص) بطرح رحى عظيمة عليه وهو جالس فى دارهم ومستند الى جدارهم لولا أن أمسك الله يد عمرو وأخبر محمد بواسطة جبريل عليه السلام فانسحب من مكانه وخرج ولم يصبه

سوء وكان معه الخلفاء الأربعة ونزل فى ذلك قونه تعالى « يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ هم قوم أن يبسطوا اليكم أيديهم فكف أيديهم عنكم واتقوا الله ، وعلى الله فليتوكل المؤمنون »[1] .

وكذلك روى أن زينب بنت الحارث امرأة سلام بن مشكم زعيم خيبر حاولت قتل محمد غدرا بعد أن وقع الصلح مع خيبر فأهدت الى محمد شاة مسمومة فجلس هو وأصحابه ليأكلوها فتناول عليه السلام الذراع فلاك منها مضغة فلم يستطع اساغتها وكان معه (بشر بن البراء) فتناول منها مثل ما تناول الرسول فأساغها وازدردها .

فأما الرسول فقد لفظها وهو يقول : ان هذا العظم ليخبرنى انه مسموم . ثم دعا زينب وسألها ، فلم يسعها الا الاعتراف بالجريمة ، وأما « بشر » فقد مات من هذه الأكلة المسمومة الغادرة الفاجرة ..

---

(١) فى سورة المائدة آية ١١ والقصة من تفسير البيضاوى ج ٢ ص ١٤٠ .

الفصل الخامس

موقف اليهود من المسيحيين (الروم) والمسلمين

لما استرد « هرقل » الأول امبراطور الروم الصليب الأصلى فى صندوقه الذهبى من الفرس سنة ٦٢٩ م [١] هرع اليهود الى هرقل وأخذوا منه أمانا مكتوبا ، ولكنه لم يأمنهم خوفا من غدرهم وخيانتهم فلم يلبث الا قليلا حتى أمر بقتلهم فى بلاد الروم والشام ومصر ونفاهم من بيت المقدس ففر اليهود الذين استطاعوا الافلات من هذا الحكم الى صحراء شرق الأردن يترقبون ظهور خصم للروم لعل الفرصة تتاح لهم وبينما هم على هذه الحالة اذ لوحت أعلام الاسلام ترفعها جيوش أبى بكر الصديق الموجهة الى الشام ، وكانت الشام خاضعة للدولة الرومانية الشرقية [٢] .. ففرح اليهود بظهور خصم للروم ، وانتظروا

---

(١) كان كسرى الثانى قد أخذ الصليب من بيت المقدس حينما انتصر على الروم . (٢) كتاب الدولة الاسلامية لعبد الحميد العبادى وزميليه زادة والعدوى .

لعل الروم يهزمون فيسمح لهم المسلمون المنتصرون بالعودة الى بيت المقدس والعيش بينهم ، ولما انتصر المسلمون على الروم أقروا اليهود على ديانتهم على شرط دفع الجزية [1] ..

العصر الذهبى لليهود فى الأندلس

لقد ذكر التاريخ ان اليهـود ظلوا ينعمـون فى كنف المسلمين ولا سيما اسبانيا ثلاثة قرون هى : القرن العاشر والحادى عشر والثانى عشر الميلادية ، حتى وصف عصرهم هذا بالعصر الذهبى الاسبانى وقال : انه أسـعد عصـور التاريخ العبرى الوسيط ، وأعظمها ثمرة ، فقـد منـح المسلمون اليهـود من الحرية الدينيـة والعلمية ما جعلهم ينشئون المجامع العلمية فى قرطبة ، وطليطلة ، وبرشلونة ، وغرناطة وغيرها ، وبفضل هـذا التعليم الذى فتح بابه المسلمون أمامهم نالت الطبقات العليا من يهود أسبانيا فى ذلك الوقت سعة وعمقا فى الثقافة لم ينلها الا معاصروهم من المسلمين والبيزنطيين والصينيين .. وكان من أشـهر علمائهم وزعمائهم فى ذلك الزمان موسى بن شنوك المتوفى عام ٩٦٥ م وحسداى بن شبروط فى (٩١٥ — ٩٧٠) الذى

---

(١) من كتاب معالم تاريخ العصور الوسطى للاستاذين رفعت وحسونة ص ١٩ ــ ٢٠ .

عينه الخليفة عبد الرحمن الثالث فى الهيئة الدبلوماسية للدولة ثم عهدت اليه تباعا أعمال أخرى ذات تبعات أخرى كثيرة فى حياة الدولة المالية والتجارية .. وكان من مظاهر تحرر اليهود فى اسبانيا الاسلامية من القيود التى كانت مفروضة .. ان انتشروا فى جميع ميادين الزراعة والصناعة والمال والمناصب العامة ولبسوا ثياب العرب ، وتكلموا بلغتهم ، واتبعوا عاداتهم ، فلبسوا العمامة ، والأثواب الحريرية الفضفاضة ، حتى أصبح من العسير تمييزهم من العرب ، واستخدم عدد من اليهود أطباء فى بلاط الخلفاء والأمراء ، وعين أحد هؤلاء الأطباء مستشارا لأعظم خليفة من خلفاء قرطبة ..

وفى اشبيلية دعا الخليفة المعتمد الى بلاطه اسحاق بن بروك العالم الفلكى ومنحه لقب أمير ، وجعله حاخام لكل المجامع اليهودية فيها ..

وفى غرناطة نافس شمويل هلوى بن نجدلا « حسداى ابن شبروط » فى سلطانه وحكمته وفاقه فى علمه حتى أعجب به وزير الملك وأسكنه فى قصر الحمراء وجعله أمين سره ، وما لبث أن أصبح مستشاره ، ثم أوصى وهو على فراش الموت أن يخلفه « شمويل » وبذلك صار شمويل وزيرا يهوديا فى دولة اسلامية فى عام ١٠٢٧ م . ولما توفى

« شـمويل » سـنة ١٠٥٥ م خلفه فى الوزارة والنجادة (الامارة) ابنه يوسف بن نجدلا ..

كبرياء اليهود وتعصبهم سبب تنكيل مسلمى اسبانيا بهم

ولكن غلبت « على يوسف بن نجدلا » طبيعة اليهود من الكبرياء والغطرسة والتعصب حتى جمع السلطان كله فى يده ، وتشبه بالملك فى لباسه ، واغتر بنفسه ، وأهـان المسلمين فىأعز شيء عندهم وهو القرآن الكريم . فقـد سخر منه ، حتى تحدث الناس عنه بأنه لا يؤمن بالله ، ولهذا أثار العرب والبربر وسكان البلاد جميعا عـام ١٠٦٦ م وصلبوا « يوسف » وذبحوا أربعة آلاف من يهود غرناطة ، وأرغم الباقون منهم على مغادرة البلاد ، ثم أخذ نجمهم يأفل وشمس سعادتهم تغيب فى عهد المرابطين الذين جاءوا من افريقية بعد عشرين عاما من ذلك الوقت وكانوا متحمسين للدين متمسكين بأصول الدين والسنة .

ولما خلف الموحدون المرابطين فى حكم مراكش وبلاد الأندلس الاسلامية سنة ١١٤٨ م خيروا اليهود بين الارتداد عن دينهم أو الخروج من البلاد فهاجر كثير منهم الى شمال اسبانيا وتظاهر كثير منهم باعتناق الاسلام ..

الفصل السادس

حياة اليهود فى البلاد المسيحية

وكان اليهود يعيشون عادة فى عزلة عن غيرهم من الآهلين منذ العصــور الوسطى لتيسر لهم هــذه العــزلة حياتهم الاجتماعية ، ووحدتهم الدينية وكان كنيسهم مركز الحى اليهودى الجغرافى والاجتماعى والاقتصادى يجتذب اليه معظم مساكن اليهود ، وكان اليهود الانجليز فى القــرن الثانى عشر الميلادى يؤدون للدولة ٨٪ من الضرائب العامة وقد أدوا ربع ما جمع من المال لحرب « رتشارد » الأول الصليبية . ولكن اليهــود نشطوا فى الشرق الأدنى وفى جنوب أوربة فى الصناعة حتى كانوا فى معظم الأحوال هم الذين أدخلوا الفن الصناعى الراقى من بلاد الاسلام الى « بيزنطة » والى البلاد الغربية ..

ولقد وجد بنيامين التطيلى مئات من صانعى الزجاج فى أنطاكية وصور ، واشتهر اليهود فى مصر وبلاد اليونان بجمال منسوجاتهم المصبوغة ، والمطرزة وتفوقها على سائر

المنسوجات من نوعها وكان « فردريك الثانى » فى القرن الثالث عشر يستقدم الى بلاده الصناع اليهود ، ليشرفوا على صناعة الحرير التابعة للدولة فى صقلية ، وكان اليهود فى تلك الجزيرة وفى غيرها من البلاد يشتغلون فى الصناعات المعدنية ، وبخاصة فى الصباغة وصناعة الحلى وظلوا يعملون فى مناجم القصدير ، فى « كورنوول » الى عام ١٢٩٠ م .

وانتظم الصناع العبرانيون فى أوربة الجنوبية فى طوائف قوية للحرف وكانوا ينافسون الصناع المسيحيين منافسة شديدة ، فأخذت الدول المختلفة تحرم على اليهود صناعة الحدادة والنجارة والخياطة وشراء مساكن لأنفسهم فى أى مكان خارج عن الأحياء اليهودية . ولكن اليهود لم ييأسوا من تحريم الصناعات السابقة . فلجئوا الى التجارة .

وكان « رب » العالم اليهودى البابلى قد وضع لبنى ملة اليهود شعارا هو : تاجر بمائة فلورين تحصل على لحم وخمر ، أما ان استقللت هذا القدر نفسه فى الزراعة فأكبر ما تحصل عليه « الخبز والملح » ..

وكان البائع اليهودى الجائل معروفا فى كل بلدة ومدينة ، والتاجر اليهودى معروفا فى كل سوق ومولد ، أما التجارة الدولية فكانت عملا قد تخصصوا فيه ، وكادوا

يحتكرونها قبل القـرن الحـادى عشر ، فكانت أحمالهم وقوافلهم وسفائنهم تجتاز البحار والجبال والصـحارى ، وكانوا هم حلقة الاتصال التجارى بين البـلاد المسيحية والاسلامية وبين أوربة وآسـيا ، وبين الصقالبة والدول الغربية ، وكانوا قائمين بمعظم تجارة الرقيق ..

وقد جاء فى كتاب « المسالك والممالك » لابن خرداذبة صاحب البريد فى الدولة العباسية فى عام ٨٧٠ م عن التجار اليهود « وكان هؤلاء التجار يحملون الخصيان والعبيد ، والحرير المطرز ، والفراء والسيوف الى بلاد الشرق الأقصى ، ثم يعودون منها بالمسـك والند » ، والكافور والتـوابل والمنسوجات الحريرية ، ثم كان استيلاء الصليبيين عـلى بيت المقدس ، واستيلاء أساطيل البندقية وجنوى على بلاد البحر الأبيض المتوسط فأصبح للتجار الايطاليين ميزة على اليهود فقضى ذلك على زعامة اليهود التجارية فى القرن الحادى عشر [١] .

المعاملات المالية بين اليهود والمسيحيين والمسلمين

ولما أضحت الحياة الاقتصادية أشد تعقيدا مما كانت عليه من قبل ، وصارت الحاجة الى تمويل المشروعات أشـد

---

(١) من كتاب قصة الحضارة للمؤلف (ول ديورانت) جـ ٣ من المجلد الرابع صفحة ٦٠ و ٦١ .

الحاحا ، لاتساع النطاق فى التجارة والصناعة ، أخذ اليهود يقرض بعضهم بعضا المال عن طريق وسيط مسيحى أو عن طريق جعـل صاحب المال شريكا موصيا [1] فى المشروع وأرباحه . وهذه وسيلة أجازها أحبار اليهود وعدد كبير من رجال الدين المسيحى ، وكانت أسفار موسى والتلمود قد حرمت التعامل بالربا بين اليهود بعضهم مع بعض ولكنها لم تحرم الرّ بَا بَيْنَ اليهودى وغيره

ولما كان القـرآن وكانت الكنيسة المسيحية يحرمان الربا ، فقد لجأ بعض المسـلمين والمسيحيين الى اليهـود ليقرضوهم ما يحتاجون اليه من المال ، وحسبنا دليلا على ذلك أن « هارون » اللنكلنى هو الذى قدم ما يلزم من المال لبناء تسعة أديرة سيترسيه ، وبناء دير سانت أولينز العظيم..

ثم غزا رجال المصارف المسيحيون هذا الميدان فى القرن الثالث عشر ، واستعانوا بالوسائل التى صنعها وسار عليها اليهود ، وما لبثوا أن تفوقوا عليهم فى الثراء واتساع نطاق الأعمال ، ولم يكن المرابى المسيحى أقل صرامة من زميـله

---

(١) الشريك الموصى هو الذى يشترك بالمال لا بالعمل وينال نصيبا من الربح اذا كسبت التجارة ولا يخسر شيئا من ماله اذا لم تربح صفحة ٦٣ من المصدر السابق .

اليهودى ، فكان كلاهما يشدد فى مطالبة الدين بما عرف عن الدائنين الرومان من القسوة ولذلك تركت هذه المعاملة الجائرة فى نفوس المدينين كراهة للدائنين » .

ثم حرم « ادوارد الأول » فى عام ١٢٧٥ م التعامل بالربا تحريما باتا ، ولكن الاقتراض لم ينقطع رغم هـذا التحريم فأمر « ادوارد » بالقبض على جميع اليهود ومصادرة جميع أملاكهم ..

وحاول رجال الدين اليهودى أن يمنعوا الاستغلال الجشع للمال بوضع عدة نظم اقتصادية ، ولكن كثيراً من هذه النظم عجزت عن تحقيق الغرض المقصود منها لأن رجال الدين لم يستطيعوا فصل حياة اليهود الاقتصادية عن حياة جيرانهم فى البلاد الاسلامية أو المسيحية لأن القانون الخاص بالعرض والطلب قد وجد له فى السلع والخدمات طريقا ينفذ منها الى جميع التشريعات [1] .

أنقذوا بريطانيا من سيطرة اليهود المالية

وها هو ذا التاريخ يعيد نفسه فقد نشرت صحيفة الأهرام المؤرخة فى ٢ من يوليو ١٩٦٢ تحت عنوان :

---

(١) من كتاب قصة الحضارة ص ٦٥ و ٦٦ .

أخبار العالم ما يلى :

اجتماع صاخب لحركة طرد اليهود من بريطانيـــا

أعنف اشتباك بين المتظاهرين ورجال الشرطة

عقدت أمس الحركة الاشتراكية الوطنية الداعية لطرد اليهود أول اجتماع لها فى ميدان الطرف الأغر وقد وقف خطيب الحركة تحت لافتة كتب عليها « انقذوا بريطانيا من سيطرة اليهود » وقال : ان الدوائر المالية اليهودية تسيطر على بريطانيا ، ووقع اشتباك عنيف بين المتظاهرين ورجال الشرطة وصفه أحد رجال الشرطة بأنه أسوأ اشتباك شاهده حتى الآن فى هذا الميدان الذى يعتبر المكان التقليدى لكفاح الحركات الوطنية السياسية ، ولم يعرف حتى الآن عـــدد الاصابات التى أسفرت عن الاشتباكات .

اليهود فى ألمانيا كالخفاش

وكذلك نشرت صحيفة الأهرام المؤرخة فى أول يوليه سنة ١٩٦٢ تحت عنوان « تغلغل اليهود فى ألمانيا الغربية » « أنه وزع فى ألمانيا منشور يدعو الى طرد اليهود من ألمانيا كلها . وقد أورد المنشور احصاء يبين تغلغل اليهود فى الحياة الألمانية بشتى مرافقها .. وقد صور المنشـــور « اسرائيل بخفاش » يمتص دماء ألمانيا عن طريق مليارات الماركات التى

تتدفق عليها وكتب تحتها عبارة « الخفاش يكبر ويكبر » ..

وجاء فى المنشور أن ١٠٣ من أعضاء النيابة فى ألمانيا الغربية من اليهود و ٨٠٪ من المناصب العليا فى القضاء يشغلها يهود ، وأن ٩٤٪ من الصحف والمجلات الألمانية فى أيدى اليهود ، وكذلك تفشى اليهود فى السينما والاذاعة والتليفزيون وفى كل من الميدانين الفنى والأدبى ..

المال هو هدف اليهود الأسمى فى هذه الحياة

استباح اليهود فى سبيل الحصول على المال كل وسيلة كالربا والاغتصاب والاحتيال وقتل النفس مهما ترتب على ذلك من عداء للشعوب أو اثارة للحروب ، بل أن اليهود يستغلون الثورات والحروب لتثمير أموالهم وتنميتها كما حدث فى الحروب الصليبية ؛ ففى الحملة الصليبية الأولى ظنت الجماعات اليهودية أن انتصار المسيحيين سيعيد لليهود فلسطين ، ويفتح لهم أبواب الرزق الوفير ، ولكنهم أفاقوا من أحلامهم على سلسلة من المذابح المدبرة [1] .

وحينما تزعم (عويديا بن عيسى) بن اسحاق الأصفهانى الثورة ، وأعلن أنه منقذ فلسطين المنتظر انضم اليه فى المعركة

---

(١) من كتاب قصة الحضارة وعصر الايمان ج ٣ مجلد ٤ .

عشرة آلاف يهودى ، واستبسلوا فى الحرب بقيادته ، ولكنهم قتلوا وهزم ابن عيسى وقتل فى هذه المعركة ، ثم ظهر مسيح آخر فى جنوب جزيرة العرب عام ١٢٢٥ م وأثار اليهود اثارة حمقاء دفعت ابن ميمون الى أن يكتب رسالة الى الجنوب ذائعة الصيت فند فيها مزاعم هذا الداعى وذكر يهود العرب الى ما أعقب هذه المحاولة من هلاك ودمار فى غابر الأيام [١].

ولما أدرك البابا « انوست الثالث » استغلال أموالهم فى الحروب ، وكانت أوربا تستعد للحرب الصليبية الرابعة فى عام ١١٩٨ م أمر البابا جميع الأمراء المسيحيين بالغاء جميع فوائد القروض التى يطالب بها اليهود مدينيهم المسيحيين. وأعفى « لويس التاسع » ملك فرنسا القديس جميع رعاياه من ثلث ما كانوا مدينين به لليهود [١] .

استخدام المال اليهودى فى التجسس

ان شبكات التجسس الاسرائيلية ضد العرب والجمهورية العربية المتحدة تمولها أموال اسرائيل فما كاد يمر عام فى عصرنا الحالى حتى تكشف مخابرات الجمهورية العربيـة

---

(١) من كتاب قصـة الحضـارة ج ٣ مجلد ٤ عصر الايمان صفحة ٥٩ .

المتحدة شبكة تجسس جديدة لحساب اسرائيل يرخص فيها المال اليهودى الغالى ، وينفق بسخاء على الجواسيس .

وقد اعترف الجاسوس الذى قبض عليه فى أوائل شهر يوليه سنة ١٩٦٢ هو وستة أعضاء من الجواسيس بأن مرتبه الشهرى بلغ ٧٠٠ دولار ، وبلغ جملة ما تقاضاه نحو ألفى جنيه مصرى ، هذا غير ما كانت تدفعه المنظمة الاسرائيلية الى زوجته فى الحبشة وهو مائة دولار شهريا [1] . واذا علمنا أن رذيلة التجسس فى اليهود موروثة عن الآباء والأجداد منذ القرون الوسطى لم نستغرب ممارستهم للتجسس فى القرن العشرين ..

فلقد روى التاريخ أن اليهود فى القرون الوسطى قاموا بالتجسس على القوط فى أواخر القرن الأول الهجرى وأوائل القرن الثامن الميلادى قبيل فتح الأندلس ، وظلوا يعملون سرا للقضاء على دولة القوط ملوك الأندلس ..

وكذلك تجسس اليهود على المسلمين حينما بدأ الصراع بينهم وبين المسيحيين على مصير الأندلس ، فقد وضع اليهود أنفسهم فى خدمة الغزاة المسيحيين يقومون لهم بنفس المهمة

---

(١) اسم الجاسوس احمد أفندى الحبشى عن الأهرام المؤرخة فى ١٩٦٢/٧/٩ .

التى سبق أن قاموا بها للمسلمين الغزاة الفاتحين وهى مهمة التجسس والغدر والخيانة لأهل البلاد التى يعيشون فيها معهم فى وطن واحد ..

فكيف يطمئن العرب لاسرائيل وهم يكشفون كل حين ما يدل على تربص اسرائيل بهم ، وسعيها الى القضاء عليهم ؟؟ وهل يصح فى الأذهان أن يغفل العرب عن اسرائيل ، وأن ينسى الفلسطينيون ثأرهم وقتلاهم ، واخراجهم من أرضهم واغتصاب أموالهم وهم نحو مليون من الأنفس يعيشون قريبا منهم فى الخيام أسوأ معيشة ؟؟ ..

وهل يمكن أن تهدأ اسرائيل وهى محصورة بين البلاد العربية وقد احتلت أعز مكان من أرضهم وهو « فلسطين » المباركة ؟؟؟ ..

ألا ان المستقبل لينذر بقرب التحام الفريقين المتعاديين ، والليالى حبالى يلدن كل عجيب ..

حسن ظن الفاطميين باليهود قضى على دولتهم

لقد أحسن الخلفاء الفاطميون الظن باليهود حتى ظهرت محاباتهم لهم ، اذ قلدوهم أرقى المناصب فى عهد الخليفة العزيز (٣٦٥—٣٨٦ هـ) (٩٧٥—٩٩٦ م) وكذلك فى عهد المستنصر ومن جاء بعده من الخلفاء فقد شغل اليهود

معظم المناصب المالية فى الدولة ، بل تقلدوا مناصب الوزارة، وتمتعوا بقسط وافر من التسامح الدينى .. فقد عين الخليفة العزيز « منشا » اليهودى واليا على الشام ، واستوزر فى أول حكمه « يعقوب بن كلس » اليهودى الأصل ، وبقى متربعا فى كرسى الوزارة نحو ١٥ عاما ، ولكن اليهود أظهروا من المحاباة لبنى ملتهم فى ايثارهم بالتعيين فى مناصب الدولة واقصاء المسلمين عنها ، ما كان سببا فى اثارة شعور المسلمين وعودة روح الكراهية نحو اليهود ، وكان من مظاهر هذه الكراهية احتجاج المسلمين على تلك المحاباة التى أظهرها الخلفاء الفاطميون لليهود ، لأن ايثارهم بمناصب الدولة الخطيرة كالولاية والوزارة يقوى نفوذهم ويجعل لهم السلطان والتحكم فى شئونهم [١] .

ولقد ذكر المؤرخ (ابن ميسرة) أن «التسترى اليهودى» الذى تولى نظارة الخاصة لأم الخليفة (المستنصر) وقبض على أزمة الأمور فى عهد الوزير « ابن المنصور صدقة بن يوسف الفلاحى » كان مكروها لدى المسلمين ، لأنه عين أبناء ملته البعيدين عن مناصب الحكم ، فى كثير من مناصب الدولة ، وهؤلاء اليهود كانوا يضطهدون المسلمين الى درجة

(١) كتاب معالم تاريخ العصور الوسطى ص ١١ .

أن أحد الشعراء المعاصرين ويسمى « الرضى » كتب هذه الأبيات : —

يهود هــذا الزمان قد بلغوا
غــاية آمالهــم وقد ملكوا
العــز فيهم والمــال عنــدهم
وعنــدهم المستشــار والملك
يا أهل مصر انى نصحت لكم
تهــوّدوا قــد تهــوّد الملك

يشير الشاعر بقوله : تهود الملك الى محاباة الخليفــة لليهود حتى كأنه يهودى منهم (١) .

وقد اضطربت البلاد فى عهــد « المستنصر » وتوالى الوزراء دون أن يتمكن أحدهم من الاحتفاظ بوزارته طويلا لتآمر من حوله من حاشيته وجيشــه ، حتى عمت شكوى الرعية ، واشتد النزاع بين الجند . وكان ذلك من عوامل ضعف الدولة الفاطمية وانحدارها الى نهايتها (٢) .

---

(١) من كتاب تاريخ الدولة الفاطميــة للدكتور حسن ابراهيم ــ الطبعة الثانية لسنة ١٩٥٨ .

(٢) معالم تاريخ العصور الوسطى ص ١١٣ .

اليهود بين الصليبيين والمسلمين

ولما حاصر الصليبيون « أورشليم » سنة ١٠٩٩م وكانت حاضرة اسلامية انضم اليهود هناك الى المسلمين ضد الصليبيين ، فلما سقطت فى أيدى الصليبيين ساقوا من بقى من اليهود فيها حيا الى بيعهم وأحرقوهم جميعا واحتل الصليبيون فلسطين ومكثوا بها الى أن طردهم الجيش المصرى السورى الموحد بقيادة « صلاح الدين الأيوبى » سنة ١١٨٧ م على أثر موقعة حطين .

ولكن « صلاح الدين الأيوبى » وخلفاءه قد أحسنوا معاملة اليهود واستقبل السلطان العادل أخو صلاح الدين ثلثمائة من أحبارهم الذين فروا من انجلترا وفرنسا فى عام ١٧١١ م استقبالا حسنا [١] ..

(المال اليهودى لم يلن قناة سلطان تركيا نحو فلسطين)

وفى عام ١٨٩٦ م أصدر صحفى يهودى نمساوى يسمى « تيودور هرتزل » Theodor Hirtzel كتابه « الدولة اليهودية » وهو يتضمن عنصرين بارزين : الأول : تمليك اليهود أرضا لا ينازعهم فيها أحد ، والثانى : هجرة اليهود من البلاد التى نشأوا فيها الى هذه الأرض التى ينبغى أن

(١) المصدر السابق .

تكون من الاتساع بحيث تستوعب عدد المهاجرين مهما كثروا ...

ولتنفيذ مشروع « هــرتزل » فكر فى أن تكون تلك الأرض هى فلسطين ، وكانت فلسطين اذ ذاك تابعة للدولة التركية التى يحكمها السلطان « عبد الحميد » وقد استطاع « هرتزل » بواسطة رجل يدعى « شيفاليه نيولينسكى » كانت له صـلات بالقسطنطينية — أن يقـابل السـلطان عبد الحميد ، وأن يقدم اليه التماسا بأن يتنازل لليهود عن فلسطين لكى يؤسسوا فيها جمهورية أرستقراطية على نسق جمهورية « البندقية » مقابل مساعدات « مالية يهودية » .. وقد بحث السلطان عبد الحميـد جميع احتمالات هـذا الالتماس ، ولكنه لم يتردد قط فى رفض هذه الفكرة فكرة السماح باقامة « دولة يهودية » داخل حدود الامبراطورية التركية ثم كتب الى « هرتزل » يقول : —

« أنصح الدكتور « هرتزل » بألا يتخذ خطوات أخرى فى هذا الطريق ، فاننى لا أستطيع أن أتنازل عن قدم مربعة واحدة من هذه الأرض ، « يعنى أرض فلسطين » ، لأنها ليست أرضى ، وانما هى أرض شعبى الذى حارب فى سبيل هذه الأرض ورواها بدمه ، دع اليهود يحتفظوا بملايينهم ،

فاذا تفككت امبراطوريتى ، فان اليهود قد يحصلون على فلسطين دون مقابل ، ولكنهم لن يصلوا اليها الا على أشلاء أجسامنا بعد تمزيق أوصالهم ، اننى لا أستطيع أن أوافق على اجراء التجارب الجراحية على أجسام أبناء شعبى الأحياء » ..

وعلى الرغم من هذا الرد الصريح الذى يقطع الرجاء ، ويصد الطامعين ، وعلى الرغم من معارضة الجالية اليهودية الرأسمالية فى (مؤتمر ميونخ) لفكرة انشاء دولة يهودية فى فلسطين ، لأن ذلك يتعارض مع مبادىء الدين الموسوى ، فان هــذه العقبات لم تمنع « هرتزل » من متابعة سـعيه ومفاوضاته مع الحكومة التركية نحو ستة أعوام ظل فى خلالها « هرتزل » يتودد الى الترك ويزعم أن اليهود حلفاء المسلمين الطبيعيون ضد المسيحيين ، ويصــور مسـتقبل الامبراطورية التركية الباهر بعد بعثها وامــدادها بأموال اليهود ، وتجديد أسطولها لتحدى الدول الأوربية فى صور براقة خلابة . ولكن سلطان تركيا لم يطمئن لحظة الى مزاعم « هرتزل » ولم ينخدع بما قدمه له من شباك الصيد ، فولى « هرتزل » وجهه شطر قيصر ألمانيا ، وكان اذ ذاك فى عنفوان مجده ، وحاول ايهامه بأن اليهود وحدهم هم الشعب الذى يمكنه أن يساعده على تنفيذ مشروع سكة حديد « برلين

بغداد » ولكن سياسة ألمانيا فى ذلك الوقت كانت متجهة الى مسالمة الأتراك والاسلام ، فلم يستجب له القيصر الألمانى بعد أن تبين اعتراضات سلطان تركيا على المشروع الصهيونى ..

ولما انكشفت مؤامرة « هرتزل » وحزبه وفشل فى استمالة زعماء الأتراك المسلمين ، وفى استمالة زعماء الألمان المسيحيين ولى وجهه شطر انجلترا فى عام ١٩٠٢ م ولم يكن لانجلترا اذ ذاك علاقة بحكم فلسطين ولكنها كانت قد احتلت مصر قبل ذلك بعشرين عاما ، وقد اقترح « هرتزل » على الحكومة البريطانية عدة اقتراحات لتكوين الدولة اليهودية منها : —

١ — استعمار الأرض المجاورة لفلسطين .

٢ — أو استعمار الأرض المجاورة للعريش فى الحدود المصرية المتاخمة لحدود فلسطين .

فلم يسع وزير المستعمرات الانجليزى « مستر جوزيف تشامبرلن » والمعتمد البريطانى فى مصر « لورد كرومر » الا الرفض لمقترحات « هرتزل » خوفا من اثارة ثائرة الشعب المصرى لو سمحت انجلترا لليهود بذلك الاستعمار الصهيونى لأرض مصرية ، فقد أبى الشعب المصرى فى

عام ١٨٥٠ م أن يسمح للصهيونيين أن يستعمروا أرض فلسطين حينما كانت تلك الأرض جزءا من مصر ..

وعلى الرغم من هذا الرفض فقد خطا المؤتمر الصهيونى المنعقد فى « لاهاى » عام ١٩٠٨ م خطوة عملية اذ قرر تأسيس شركة للأراضى الفلسطينية ، وتخصيص قرض يقدمه البنك الوطنى لبناء حى عصرى لليهود المهاجرين بالقرب من « يافا » نواة مدينة « تل أبيب » كما قرر اعتبار اللغة العبرية لغة التخاطب الرسمية للصهيونية [1] .

استغلال اليهود لثورة « الاتحاد والترقى فى تركيا »

وكانت تركيا فى ذلك الوقت قد بلغت من الضعف حدا جعل دول أوربة تطلق عليها اسم « الرجل المريض » وتترقب موته ، وتعقد الاجتماعات للبحث فى مصير ممتلكاته فى أوربة وآسيا ..

ومما ضاعف آلام المريض ثورة « الاتحاد والترقى » التى قامت فى تركيا سنة ١٩٠٨ فى نفس العام الذى عقد فيه مؤتمر « لاهاى » الصهيونى وكان من مدبرى هذه الثورة ضباط من اليهود انضموا للضباط الأتراك المستترين الذين كانوا ينقمون من السلطان عبد الحميد لطغيانه واستبداده .

---

(١) من كتاب الدولة العربية الكبرى ص ٦٨ ـ ٢٣١ بتصرف .

الفصل السابع

استغلال اليهود للحرب العالمية الأولى

وحينما شبت نيران الحرب العالمية الأولى فى عام ١٩١٤م لاح لليهود بصيص من الأمل فيما سيأتى به الغد لأنهم تعودوا أن يستفيدوا من الحروب والفتن ، وأن يصطادوا فى الماء العكر ..

فما كاد الأتراك يربطون مصيرهم بالألمان والنمسويين حتى ساد فلسطين جو من الارهاب والاضطراب لأن « جمال باشا » قائد الجيش التركى أصدر فى يناير سنة ١٩١٥ م منشورا ضد العناصر الهدامة والتى تسعى لانشاء حكومة يهودية فى فلسطين العثمانية ، وأمر باغلاق المصرف الانجليزى اليهودى فى فلسطين ، لاعتقاده بأن الجالية اليهودية موالية للحلفاء وأنها جاسوس على الجرمان ، وجرد المستعمرات اليهودية من الأسلحة ، وخير كل يهودى من رعايا الحلفاء بين الخدمة فى صفوف الجيش التركى أو الرحيل عن البلاد ،

فهاجر الى مصر عدة ألوف من اليهود ، ثم انضموا لجيوش الحلفاء وكانوا يحملون شارة داود لتميزهم عن غيرهم ، وقد أدت فرقة « راكبى البغال » الفلسطينية اليهودية للانجليز خدمات جليلة فى أثناء حملة « غاليبولى » ..

وكان من بواعث انضمامهم لجيوش الحلفاء ضابط يهودى يدعى « ترا مبلدور » دفعه الى ذلك ايمانه بأن هذا العمل من جانب اليهود من شأنه تزكية مطالبهم ، وتعزيز أمانيهم الخاصة وهى انشاء وطن قومى لليهود فى فلسطين غداة انتهاء الحرب .

وظلت العناية بقضية اليهود تزداد تبعا لاطراد تطورات الحرب لمصلحة الحلفاء ، فان مستقبل فلسطين يهم دون شك بريطانيا التى تعد سلامة مصر المحتلة وقناة السويس فى المقام الأول من محل عنايتها .

ثم تطورت المحادثات التمهيدية بين الصهيونيين والساسة الانجليز منذ عين « لويد جورج » رئيسا للوزارة الانجليزية وأسندت وزارة الخارجية للورد « بلفور » واتخذت المحادثة الطابع الرسمى الحقيقى فاعترفت حكومة لندن بحق اليهود فى استيطان فلسطين وتحقق اعترافها فى وعد « بلفور » الذى منحه لزعماء اليهود فى ٢ من نوفمبر سنة ١٩١٧ م وفيه

يقول : ان الوزارة الانجليزية تنظر بعين الرضا الى انشاء وطن قومى لليهود فى فلسطين وأنها ستبذل أقصى جهدها لتيسير تحقيق هذا الغرض ... [١] .

وفى الثامن من شهر ديسمبر سنة ١٩١٧ م دخل اللورد « اللنبى » القائد الانجليزى مدينة « أورشليم » مترجلا على رأس الجيوش المختلفة بمساعدة القائد العربى (الأمير فيصل) ابن الشريف « حسين » أمير مكة فى ذلك الوقت ، فشاع الفرح بين اليهود ، وبلغت حماستهم ذروتها ، حتى أقبل على مكاتب التجنيد ألف رجل آخرون تطوعوا فى خدمة الجيش الانجليزى ، فبلغ عدد القوات اليهودية خمسة آلاف ، اشترك فريق منهم فى مطاردة فلول الجيش العثمانى..

ولم تمض سنة حتى كادت الأراضى الفلسطينية تخلو من العناصر المعادية للانجليز والصهيونية ، وهكذا انتهى عهد الأتراك بعد أن دام ثلاثة قرون ، وانتهت الحرب العظمى بتخويل اليهود حق استيطان فلسطين [٢] ..

خطوات تخويل اليهود حق استيطان فلسطين

كان وعد « بلفور » أول خطوة فى تخويل اليهود حق استيطان فلسطين ، وكانت الخطوة الثانية هى تأييد الدول

---

(١) الدولة العربية الكبرى ص ٦٨ .

(٢) من كتاب هذه هى الصهيونية ص ٨٠ — ٨٢ .

الكبرى (الولايات المتحدة ، وايطاليا وفرنسا) لوعد بلفور في اقامة وطن قومي لليهود في فلسطين وكانت الخطوة الثالثة هي موافقة (عصبة الأمم) على انتداب بريطانيا لفلسطين على أن يكون أساس الانتداب « تهيئة الظروف السياسية والادارية والاقتصادية التي تساعد على قيام وطن قومي لليهود ، وتحقيق تكوين « دولة يهودية لها حكم ذاتي » ثم منح الانتداب الانجليزي لفلسطين في مؤتمر (سان ريمو) في أبريل سنة ١٩٢٠ م وتم ذلك الانتداب نهائيا في شهر سبتمبر سنة ١٩٢٣ م بعد الموافقة على معاهدة (لوزان) مع تركيا وأنشئت « الوكالة اليهـودية » وكانت مهمتها الأساسية (انشاء وطن قومي لليهود في العالم) ونص ذلك الانتداب كما نص وعد بلفور على « انشاء وطن قومي لليهـود » .

وهكذا أصبح وعد بلفور أداة ظالمة منفذة بعد أن أكده الانتداب البريطاني .

نقض الانجليز وعد « ماكمهون » في الوقت الذي نفذوا فيه وعـــد (بلفور)

على حين أن انجلترا خلقت وعد « ماكمهون » لشريف مكة سنة ١٩١٥ م والذي نص على أنه « اذا قامت الشعوب

العربية بالثورة تعترف انجلترا باستقلال عرب الدولة « العثمانية » ولم يستثن هذا الوعد فلسطين كما استثنى العراق وجنوب الجزيرة ..

وبعد أن وضعت الحرب العالمية الأولى أوزارها وانتصر الانجليز على الترك نفذوا وعد (بلفور) الظالم ضد عرب فلسطين ولم ينفذوا وعد « ماكمهون » لأنهم يريدون تسليم فلسطين لليهود ..

فان كان اليهود قد ساعدوا الانجليز فى الحرب ضد تركيا ، فقد ساعدهم العرب ضدها كذلك ، فهم أحق ببلادهم من اليهود ، ولكن أولئك العرب قد أحسنوا الظن بالانجليز وصدقوا وعد « ماكمهون » فكانوا من الخاسرين ، كما كانوا فى جهل وغفلة عن السياسة الانجليزية التى لا ضمير لها ، ولا عدل فى شريعتها الا لمصلحتها الخاصة وقد رأت مصلحتها فى تسليم فلسطين لليهود « تسليم من لا يملك لمن لا يستحق » كما قال السيد الرئيس جمال عبد الناصر ..

ثورات عرب فلسطين

ولما رأى عرب فلسطين الأخطار الكامنة فى وعد «بلفور» وفى الانتداب البريطانى لفلسطين وقد تعصب المندوب

السامى الانجليزى الصهيونى « هربرت صمويل » الذى أخذ على عاتقه تنظيم الهجرة اليهودية الى فلسطين ، وتيسير وسائل العمل والارتزاق لهم ، واقامة المساكن والمتاجر وشراء الأراضى حتى أصبح لليهود مائة وعشرون مستعمرة حوالى سنة ١٩٢٨ م — قاموا بسلسلة من الثورات فى أعوام ١٩٢٠، ١٩٢١ ، ١٩٢٤ ، ١٩٢٩ ثم عقدوا مؤتمرا اسلاميا عاما فى القدس فى عام ١٩٣٠ م دعى اليه جميع الشعوب العربية الاسلامية فقرر المؤتمر القرارات الآتية : —

أولا : مقاطعة البضائع اليهودية .

ثانيا : تأسيس شركة زراعية لانقاذ أراضى العرب فى فلسطين من بيعها لليهود .

ثم عقدوا مؤتمرا للشباب العربى بعد ذلك بقليل ، فأصدر المؤتمر « ميثاقا وطنيا » جاء فيه : —

« ان البلاد العربية وحدة تامة الأجزاء ، وكل ما طرأ عليها من أنواع التجزئة ، فان الأمة لا تقره ولا تعترف به » .

ولكن هذا الميثاق لم يمنع تدفق سيل الهجرة اليهودية الى فلسطين ولا سيما فى خلال أعوام ١٩٣٣، ١٩٣٤، ١٩٣٥م منذ تولى هتلر الحكم فى ألمانيا واضطهد اليهود هناك . حتى بلغ عدد اليهود الذين هاجروا الى فلسطين زهاء مائة وخمسين

ألف يهودى [1] . فقاوم عرب فلسطين ذلك بأعظـم ثورة مسلحة بقيادة (فوزى القاوقجى) فى سنة ١٩٣٦ م ولكن ملوك العرب وأمراءهم قد طلبوا من الثوار وقف الأعمال الحربية ريثما تنتهى (لجنة بيل) من عملها وهى احـدى اللجان الكثيرة التى كان يرسلها الانجليز لدراسة القضية الفلسطينية فى الظاهر ، ولتخدير أعصاب العرب وخداعهم ، وتسكين ثوراتهم فى الباطن .

مشروع تقسيم فلسطين وفشله

ثم تمخضت لجنة بيل عن أول مشروع لتقسيم فلسطين الى دولتين : احداهما عربية جرداء ، والأخرى يهودية خصبة وكان ذلك فى سنة ١٩٣٧ م .. فما كان من الدول العربية الا أن عقدوا مؤتمرا فى (بولدان) فى أوائل شهر سبتمبر سنة ١٩٣٧ م وقرروا بالاجماع : —

١ — مقاومة مشروع تقسيم فلسطين .

٢ — الغاء الانتداب الانجليزى .

٣ — الغاء وعد بلفور .

٤ — وقف الهجرة اليهودية .

---

(١) من كتاب « اسرائيل العـدو المشترك ص ٤٨ .. للواء أركان الحرب محمد صفوت .

٥ — اصدار تشريع يمنع انتقال أراضى العرب لليهود.

ولما لم تجب مطالب العرب ثاروا فى وجـه الانجليز ، فاستبدلت انجلترا بسلاح المراوغة والخداع سلاح الاعتداء على العرب وعلى مكتب اللجنة العربية العليا الذى كان يرأسه « الحاج أمين الحسينى » سنة ١٩٣٧ . وعلى الرغم من هذا الاعتداء فقد عجزت انجلترا عن تنفيـذ مشروع تقسيم فلسطين ، فدعت الى عقد مؤتمر فى « لندن » لبحث القضية واشتركت الدول العربية المستقلة والهيئات الوطنية فى هذا المؤتمر الذى عقد فى شهر فبراير سنة ١٩٣٩ ولكن هذا المؤتمر لم يسـفر عن نتيجة . فأصـدرت الحكومة البريطانية كتابها الأبيض فى ١٧ من شهر مايو سنة ١٩٣٩ م وهو يقضى بهجرة خمسة وسبعين ألف يهودى الى فلسطين فى خمسة أعوام واقامة حكومة وطنية فى عشرة أعوام ولكن اليهود رفضوه بحجة أن الدولة التى سيسفر عنها أكثرها عرب لا يهود ، فلم ينفذ الانجليز ما جاء فى الكتاب الأبيض نزولا على ارادة اليهود ..

الفصل الثامن

استغلال اليهود للحرب العالمية الثانية ضد العرب

ولما نشبت الحرب العالمية الثانية سنة ١٩٣٩ م أخذ اليهود ينظمون وسائل الهجرة الى فلسطين ويقومون بشتى أنواع الدعاية فى الولايات المتحدة حتى نجحوا فى التأثير على سياسة أمريكا ضد العالم العربى وحملوا الرئيس (ترومان) على المطالبة بهجرة مائة ألف يهودى الى فلسطين فى الوقت الذى لزم فيه العرب الهدوء ، بل انضموا الى جانب الحلفاء، مخدوعين بوعودهم الجديدة ، كما خدعوا بوعودهم الكاذبة فى الحرب الأولى فضاعت منهم فلسطين لهذا السبب ولأسباب أخرى هى: موالاة ملوك العرب وحكوماتهم للدول الغربية ، وارتباط مصالح الاقطاعيين والرجعيين بعجلة الاستعمار ، وتقصيرهم فى الدعاية لأنفسهم وتأثرهم بالدعاية الغربية ابان الحرب العالمية ، حتى خدرتهم وحجبت عن أعينهم الخطر الاسرائيلى ولم يعتبروا أو ينتفعوا بتجاربهم

وأخطائهم فى الحرب العالمية الأولى ، كاعتمادهم على الحلفاء وتصديق وعودهم ، فدارت الدائرة عليهم واغتصبت منهم فلسطين ، وصدق فيهم قول الشاعر :

ومن يستعن فى أمره غـير نفسـه
يخنه الرفيق العون فى المسلك الوعر

أما اليهود الصهيونيون فقد « دعموا » الوكالة اليهودية فى فلسطين بالمال والرجال حتى تكون من الشبان الصهيونيين الذين تدربوا فى جيش الحلفاء ثلاثة جيـوش ، أكبرها وأوفرها عدة جيش « الهاجاناه » والثانى جيش « الأرجون زفاى لومى » أما الثالث فهو جيش «العصابات الارهابية» ويدعى جيش (اشترن)[1] . وهكذا قد زاد عدد اليهود بعد الحرب العالمية الثانية ونظمت جيوشهم وقويت شوكتهم فى فلسطين ، فأخذوا يرتكبون من الجرائم الوحشية ضد العرب ما يندر أن يحدث مثله فى تاريخ البشر .

أمثلة من جرائم الصهيونية

ومن أمثلة الجرائم التى ارتكبها الصهيونيون فى سبيل الوصول الى أغراضهم وأمانيهم الباطلة أنهم كونوا جمعيات

(١) كتاب من جرائم الصهيونية لصبحى صادق النجار ص ٤٨ — ٥١ .

سرية لاغتيال كل من يقف فى جانب الحق العربى ولو كان الواقف فى جانبه يهوديا .

فقد اغتالوا الدكتور « يعقوب جيهان » فى القدس سنة ١٩٢٤ م لأنه كان رئيسا للحركة السياسية لحزب (أجودات اسرائيل) وهو حزب دينى يخالف السياسة الصهيونية مخالفة صريحة .

وكذلك قتلوا (حايم آراوزروف) الزعيم الصهيونى فى حزب ماباى ورئيس الوكالة اليهودية فى عام ١٩٣٣ م فى تل أبيب لأن سياسته كانت مبنية على التفاهم مع العرب لاعتقاده أن تحقيق الأهداف الصهيونية وأهمها (اقامة الوطن القومى لليهود) لا تتم الا بالاتفاق مع العرب على عكس سياسة بن جوريون الذى يرى أن تحقيق هذه الأغراض لا يتم الا بالتبعية للقوى الاستعمارية التى كانت تحكم العرب فى بدء الحركة الصهيونية فى فلسطين . وكانت سياسة تبعية اليهود للغرب متفقة مع مصالح وتوجيهات بريطانيا قبل سنة ١٩٤٨ م ثم تحولت سياسة تبعية اسرائيل بعد الغاء الانتداب البريطانى (١٩٤٨) الى الولايات المتحدة [١] ... وقد سار حزب ماباى وعلى رأسه (دافيد

---

(١) من المصدر السابق .

بن جوريون) على سياسة التبعية للاستعمار والتعاون مع العناصر الأجنبية ضد العرب سكان فلسطين ، وكان الانجليز يساعدون اليهود فى فلسطين على قتل وشنق مئات المجاهدين من العرب وتجريدهم من الأسلحة .

اليهود يسيئون لمن احسن اليهم

ولكن طباع اليهود أبت عليهم الا أن يقابلوا احسان الانجليز اليهم بالاساءة لهم . فقد انتهزوا فرصة انشغال بريطانيا بالحرب العالمية الثانية حرب تقرير المصير وانقلبوا عليهم فخطفوا بعض الجنود الانجليز وجلدوا بعضهم وسجنوا ضباطهم وأذلوهم وأذاقوهم العذاب الأليم ونسفوا مقر حكومتهم فى فندق الملك داود واعتدوا على المندوب السامى وقتلوا « لورد موين » الوزير البريطانى المفوض فى القاهرة سنة ١٩٤٤ م . بسبب اظهار ميله لانصاف العرب .. وليس عجيبا ألا تحرك بريطانيا ساكنا لاعتداء اليهود على جنودها فى فلسطين لأسباب أهمها كما يبدو لى:

أولا : أن بريطانيا تريد أن تبقى فلسطين قاعدة بريطانية ضد العرب دائما وأما اليهود فهم قنطرة يقفزون منها على العرب أو رأس رمح مصوب الى صدر العرب فى أيدى الاستعمار للفتك بالعرب الأحرار .

ثانيا : أن انجلترا كانت تخوض حرب حياة أو موت وهى والحالة هذه فى حاجة الى الجنود اليهود داخل فلسطين وخارجها . ولذلك استمرت انجلترا فى تدريب الجنود اليهود على الحرب وامدادهم بالسلاح والعتاد والسماح لهم بتكوين فرق عسكرية نظامية داخل فلسطين لحمايتها من العرب .

فشل هيئة الأمم فى تقسيم فلسطين ١٩٤٧ م

ولما ضغطت دول الاستعمار الكبرى وأهمها انجلترا وأمريكا على هيئة الأمم المتحدة عادت فقررت تقسيم فلسطين ١٩٤٧ م ذلك التقسيم الجائر الذى سبقت الاشارة اليه فقامت الثورة العربية مرة أخرى فى فلسطين وفى أنحاء العالم العربى والاسلامى وكانت النتيجة فشل هيئة الأمم المتحدة لأنها حادت عن منطق العدالة ولم تسمع لصوت الحق وحابت اليهود على حساب العرب فاضطرت الى سحب قرار التقسيم واستبدلت به الوصاية على فلسطين فرفض العرب قبول الوصاية أيضا ..

الفصل التاسع

إلغاء الانتداب البريطاني وتسليم فلسطين لليهود

وبعد فشل كل المحاولات السابقة لاغتصاب فلسطين كلها أو بعضها قرر الانجليز الغاء الانتداب البريطانى وحددوا لذلك يوم ١٥ مارس ١٩٤٨ م ولكنهم سلموا فلسطين لليهود لتكون قاعدة للاستعمار وفاصلا بين البلاد العربية وأداة للقضاء على العرب وأمدوهم بالسلاح فى الوقت الذى جردوا فيه عرب فلسطين من اسلحتهم فطمع اليهود فى العرب وظلوا يعتدون عليهم فى ديارهم ويقتلون النساء والأطفال والشيوخ حتى كل من يتوسط للسلام فى أرض السلام ولو كان الوسيط من اليهود أنفسهم فقد قتلوا وسيط الأمم المتحدة (الكونت برنادوت) رئيس لجنة الصليب الأحمر فى السويد والذى كان منتدبا لاقرار السلام ، فى ١٧ ديسمبر ١٩٤٨ م فى القدس وذلك لأن برنادوت قد رأى أن حل قضية فلسطين لا يمكن أن يتحقق

الا برد جزء من أرض العرب التى اغتصبها الصهيونيون الى أصحابها الشرعيين مثل منطقة (النقب) وشمالها الى مدينتى اللد والرملة ثم تلتزم بعد ذلك الحدود حسب ما جاء فى قرار التقسيم الذى قررته الجمعية العمومية من قبل فى ٢٩ نوفمبر ١٩٤٧ .

القتل والغدر والارهاب هى وسائل حل المشكلات فى رأى بن جوريون والصهيونيين

ولكن الصهيونيين وزعيمهم بن جوريون يرون أن حل المشكلات وعلاج الأمور لا يكون الا بالعنف والقتل والغدر والارهاب كما هو ثابت من أقوالهم وأفعالهم قبيل انهاء الانتداب البريطانى وبعده ، فلقد اعتدوا على القرى الآمنة وفتكوا بالأطفال وبقروا بطون الحبالى وعذبوا العجائز وتحول القتل السرى للأفراد الى القتل العلنى للجماعات ، وأصبح فى شكل غارات ارهابية وحشية منظمة ضد القرى العربية فى فلسطين مثل مذابح قرية (دير ياسين) فى ٩ أبريل ١٩٤٨ م ومذبحة كفر قاسم بعد ذلك وكان لهذه المذابح أثر كبير فى دفع أعداد غفيرة من العرب الى الهرب ثم طرد اليهود أكثر العرب من المناطق التى تم

احتلالها ، وأساءوا معاملة الأقلية العربية كل الاساءة كما يتبين من الحقائق الآتية التى تؤيدها الأدلة القاطعة :

فلقـد نشرت مجـلة (Bv 5 ir & 55-Pi65t) فى عددها الصادر فى شهر مارس ١٩٥٤ م عن الأقلية العربية فى اسرائيل فقالت : ان عدد عرب فلسطين المحتلة ١٨٤ ألف شـخص أجبرت السلطات الاسرائيلية عشرين ألف شخص منهم على مغادرة مكان اقامتهم الأصلى وجمعتهم فى أماكن خاصة من المنطقة المحتلة — (ويلاحظ أن عدد عرب فلسطين كان نحو مليون نسمة) . ثم قامت اسرائيل بسلسلة من الاجراءات بغية التخلص من هذه الأقلية فى المنطقة المحتلة وافتنوا فى ابتكار الوسائل لتحقيق ذلك فلم يتركوا منكرا الا ارتكبوه من سجن وتعذيب ، وقتل وتشريد واعتداء على الأعراض وانتهاك المحرمات واستباحة للأموال وتقييد للحريات الى غير ذلك مما تفتق عنه الفكر الصهيونى الاجرامى .

ومن أمثلة ذلك أن الصهيونيين ساروا على خطة نسف القرى وتدميرها وهدم أبنية العرب فى المدن والقرى امعانا فى التضييق عليهم وحملهم على ترك البلاد [1] .

---

(١) من كتـــاب (لن نكون لاجئين ص ١٥٣ و ١٥٤ للدكتور أحمد معوض) .

وقد نشر الكاتب اليهودى « هال ليرمان » مقالا فى مجلة « كومنترى » الأمريكية عن أحوال العـرب فى اسرائيل جاء فيه : « أما وقد زرت جميع أنحاء البلاد ، فقد بدا لى أن الجندى الاسرائيلى كان قاسيا فى معاملته بلا ريب حتى مع غير المحاربين من العرب اذ تجد كثيرا من القرى العربية التى تهدمت بفعل (الديناميت) وقد هجرها أهلها دخلها اليهود وهدموها مع أنها لم تمسها الحرب ويظهر أن اليهود عندما شعروا بهجرة العرب تمادوا فى التخـريب ليتأكدوا من عدم عودة العرب اليها .

وقد بلغ من وحشية الصهيونية فى أعمالها البربرية أن احتجت صحفها نفسها على ما يحدث فى البلاد فقد ذكرت صحيفة « صـوت الشعب » كرلهاعام « أن السـلطات الاسرائيلية أحرقت أسرة « آل زريق » فى قرية « عليبون » « قضاء الناصرة » فى داخل بيتها ارهابا لباقى السكان ، وترويعا لهم لحملهم على الخروج من البلاد ، وأضافت أن السلطات الاسرائيلية أعدمت عددا كبيرا من صبيان القرية وأجلت سائر الباقين منهم وطردتهم عبر الحدود اللبنانية ، كما طردت « قبيلة العزازمة » من البلاد ، وكذلك اختارت القوات الاسرائيلية مجموعة من القرى العربية وأخرجت

سكانها من بيوتهم وأرضهم وألقوا بهم فى مناطق خاصة ، ليحرموهم من مصادر أرزاقهم القديمة ، وليضيقوا عليهم فى مكانهم الجديد بما فرضوه عليهم من أحكام تقيد حرية الانتقال الا بتصريح من الحاكم العسكرى اليهودى ويكاد يكون ذلك التصريح مستحيلا ..

وأما العرب الباقون فى البلاد بعد ذلك فقد حددت سلطات اسرائيل أجور أعمالهم بأقل من أجور اليهود الذين يقومون بنفس العمل لاذلال العرب وافقارهم كما حددت السلطات أسعار المحصولات العربية وكثيرا ما تصادر هذه السلطات المنتجات العربية ، وتستولى عليها دون أن تعوض أصحابها شيئا ..

واذا لجأ العرب الى السلطات اليهودية فى « تل أبيب» أو الى المحاكم طالبين استرداد حقوقهم ، كان جزاؤهم السجن وصدق عليهم البيت المشهور :

والمستجير بعمرو عند كربته

كالمستجير من الرمضاء بالنار

وأما الجرائم الوحشية التى كان اليهود يرتكبونها ضد العرب المسجونين ، فقد كشفت عنها نائبة صهيونية عندما قدمت فى « الكنيست » أسئلة الى وزير الشرطة

(البوليس) عن سلسلة حوادث التعـذيب الرهيب التى يصاب بها العرب فى سجن « شطا » المركزى ، وقد اعترف الوزير بذلك التعذيب ، وعلل ذلك بأنه موقع على من يرفضون الخضوع لأنظمة السجن .

ومن أمثلة التعذيب للمسجونين العرب أن المسجون كان يساق وهو مغلول اليدين الى غرفة ينتظره فيها عدد من السجانين فينهالون عليه ضربا مبرحا حتى يسقط فاقد الوعى ، بقصد ارهابه وايقـاع الرعب فى قلبـه [١] .

حتى المرضى من المسجونين العرب لم يرحمهم اليهود ، بل كانوا يضربونهـم كلما شكوا من المرض حتى فقـد بعضهم احدى عينيه من شدة الضرب مثل «مصطفى يوسف» من قرية طموة ..

ومن وسائل تعذيب المسجونين أيضا ما قرره بعـض السجناء العرب من أن الصهيونيين كانوا يسلطون عليهم التيار الكهربائى حتى يقعوا على الأرض فاقدى الوعى ، ثم يرشون أجسامهم بالماء البارد ليستعيدوا وعيهم ، وبعد ذلك يربطونهم بالحديد ويصلبونهم مرفوعين عن الأرض حوالى المتر ثم تنهال عليهم العصى والأسواط حتى تسيل

---

(١) من كتاب لن نكون لاجئين ص ١٥٥ ــ ١٥٦ .

منها الدماء ويفقدون الوعى مرة أخرى ، وهكذا يتكرر هذا التعذيب الوحشى كل يوم مع المسجونين العرب .. وكذلك تحول العرب فى المنطقة المحتلة (السجن الكبير) من سادة أحرار الى عبيد أذلاء تتنافى معاملتهم مع كل القوانين الدولية والتعهدات التى تتشدق بها (اسرائيل) وترددها فى المحافل الدولية زاعمة أنها « واحة الحرية فى الشرق الأوسط » ..

هذا الى أن اعلان « جولدا مائير » وزيرة خارجية اسرائيل « أن اسرائيل مستعدة لدفع التعويضات للعرب المقيمين بها حتى يرحلوا عن البلاد » لأقوى دليل على ما تبيته اسرائيل من استئصال شأفة العرب المقيمين فيها ، اما بالهجرة من البلاد أو باغرائهم بالتعويضات « وكيف تباع الأوطان بالتعويضات ??? » ..

واما بافنائهم والقضاء عليهم نهائيا ، كما هو ثابت فى جرائمهم التى سجل التاريخ صفحاتها الحمراء بمداد من الدم العربى الذكى الذى ينادى أبناء العرب الأمجاد ليعودوا الى بلادهم أو يموتوا فى الدفاع عنها شهداء ، ويحشروا فى زمرة أسلافهم الشهداء المجاهدين الذين أنعم الله عليهم بالشهادة فى سبيل الوطن وحسن أولئك رفيقا ..

ان الصهيونية لا تعترف بدين الا (بالموسوية) ولا تعترف بعقيدة الا (بالصهيونية) يدل على ذلك أقوالهم وأفعالهم التى منها :

خطاب « ليفى » سكرتير الجامعة العالمية لليهود الأحرار فى اجتماع عقد بمدينة «كاليفورنيا» فى «لوس انجيلوس» فقد قال :

ان المسيحيين الخوارج الكفرة الذين يدعون أنهم أصحاب الحق الأقدس قد ساروا فى الطريق الخاطىء واننا — أصحاب العقيدة اليهودية — قد جاهدنا قرونا طويلة ، لتدخل فى عقول أولئك الكفرة أن المسيح لم يوجد على سطح الأرض اطلاقا ، وأن قصة العذراء والمسيح كانت وستكون أبدا كاذبة ، وسنضع فى المستقبل القريب عندما يستولى الشعب اليهودى على منصة الأحكام فى الولايات المتحدة الأمريكية ، — استيلاء قانونيا فى رعاية الاله (يهوه) سنضع نظاما جديدا للتعليم نثبت فيه أن الاله (يهوه) هو الذى يجب أن يعبد ، وأن قصة المسيح زيف وتزوير ، وهكذا سنمحو المسيحية [1] وأن خطبة (ليفى)

---

(١) من كتاب لن نكون لاجئين ص ١٦٠ .

هذه لتدل على المؤامرة العالمية اليهودية الواسعة لهـدم المسيحية ، وما فيها من قيم أخلاقية ، ولو كانت خطبتـه هذيانا فرديا لبادر الى استنكارها المجتمعون وهم كثير .. لو كانت خطبة « ليفى » سورة غضبان فردى لما قالها غيره ، ولكنا نجد الحاخام « بينا موزربح » يقول أيضا : « ان اليهودى لا يقنع بهزيمة المسيحية ، بل يريد تهديد أتباعها أنه يحطم العقيدة الكاثوليكية والبروتستينية ، أنه يريد اثارة الخلافات ، ثم انه يفرض ارادته على العالم من ناحية الأخلاق والحياة ، يفرضها على أولئك الذين محا عقيدتهم، انه يعمـل فى سبيل هـدفه الأزلى ، وهو اذلال ديانة المسيح » ..

وها نحن أولاء ، قد قرأنا ما قاله الحاخام « بينا » من أن اليهودى لا يقنع بهزيمة المسيحية ، ثم أنه يفرض ارادته على العالم كله من ناحية الأخلاق والحياة ، ويقرر أن هدفه الأزلى القديم هو اذلال المسيحية ومما يؤيد أن رغبة اليهود فى القضاء على المسيحية ليست فردية ما جاء فى « بروتوكول حكماء صهيون » دستور الصهيونية العالمية . وفى هذا الدستور ١٤ فقرة صريحة عن النزاع الشديد بين اليهودية والمسيحية وبين اليهودية والعقائد الأخرى ومنها :

« وعندما نصل الى مملكتنا يصبح من غير المرغوب فيه لدينا ، وجود عقائد غير عقيدتنا ، وعلى ذلك يتعين علينا جميعا أن نكتسح جميع الأديان والعقائد الأخرى جميعا ، واذا كان هذا يؤدى الى وجود ملحدين ينكرون وجود الخالق ، فهذا ما لا يتعارض مع وجهة نظرنا ، ويعتبر فى ذاته مرحلة تطور وانتقال » ..

وقد صدرت نشرة اسرائيل المتحدة فى « نيويورك » فى شهر يونية سنة ١٩٥١ وفيها :

« ان المسيحية تتلوى . وهى تعانى النزع الأخير وقد أصاب الذبول صنم العالم المعبود الذى مضى الى الفناء . فاليهود اذن — خطر جلل يتهدد الدين المسيحى خاصة وجميع الأديان ما عدا الدين اليهودى . كما يناصر الملحدين لأن عقيدتهم اللادينية لا تتعارض مع وجهة نظر اليهود بل يعتبرونهم مرحلة تطور وانتقال » .

ولعل المسيحيين وغيرهم يقدرون هذا الخطر الماثل أمام أعينهم ولا يغفلون عن مقاومته والقضاء عليه قبل أن يقضى عليهم ، لأن الدفاع عن العقيدة ليس أقل شأنا من الدفاع عن النفس والمال والعرض والوطن وقد أمرت به الشرائع السماوية والوضعية . وعلى الباغى تدور الدوائر ..

الفصل العاشر

الحرب بين العرب واليهود سنة ١٩٤٨ م

لما رأى العرب فى الشرق الأوسط المسلمون منهم والمسيحيون ، ما فعله اليهود باخوانهم عرب فلسطين من قتل وتشريد واغتصاب لأرضهم ، وأدركوا مؤامرة الاستعمار الواسعة ضدهم ؛ تلك المؤامرة التى بيتها الانجليز مع اليهود وهى « الغاء الانتداب البريطانى وتسليم فلسطين لليهود ، لاقامة وطن قومى لهم هناك على أشلاء عرب فلسطين ، — أرسلت سبع دول عربية سبعة جيوش تحت قيادات سبع ، وعلى الرغم من أن معظم القيادات كان للانجليز وأن الروح الانجليزية كانت مع اليهود فان الجيوش العربية قد كسبت الجولة الأولى وحققت الغلبة على اليهود حتى لم يكن بينهم وبين « تل أبيب » الا بضعة كيلومترات وذلك من أول يوم قامت فيه هذه الحرب وهو يوم ١٥ من مايو ١٩٤٨ م .

. . وقد استمرت هذه الحرب حوالى ثمانية أشهر تحملت فيها القوات المصرية وحدها أكثر التضحيات فى سبيل هذا الباعث الانسانى وذلك لأن القائد العام لهـذه الجيوش العربية كان الملك « عبد الله » ملك الأردن الذى كان يعمل تحت قيادة « جلوب » الانجليزى فى الواقع ، وكانت عملية تسليمه قيادة هـذه الجيوش العربية أشبه بتسليمها « لتشرشل » وفى أثناء الحرب تدخل مجلس الأمن مرارا لفرض الهدنة بين المتحاربين فأصدر قراراته المعروفة فى ٢٩ من مايو وفى ١٥ من يولية وفى ١٨ من أغسطس ١٩٤٨م فنزل العرب على حكمه فى كل مرة ولكن الصهيونيين لم يرعوا لتلك القرارات حرمة ، بل استمروا فى عدوانهم مركزين كل هجومهم على مراكز القوات المصرية فى النقب فقابلت القوات المصرية وحدها العدوان بكل بسالة ولجأت الحكومة الى مجلس الأمن لوضع حد لهـذا العـدوان الجديد فأصدر المجلس فى ٤ من نوفمبر وفى ١٦ منه وفى ٢٩ من ديسمبر ١٩٤٨ م أمرا بوقف القتال واعادة الحال الى ما كانت عليه قبل اعتداءات الصهيونيين الأخيرة فى ١٤ من أكتوبر ولكن اليهود واصلوا عدوانهم على القوات المصرية غير مكترثين — كعادتهم — بقرارات مجلس الأمن لأنهم

معتمدون على ما وصل اليهم من عتاد وذخيرة ، ومعونة فنية من بعض دول أوربة الشرقية على الرغم من الحظر الذى أقره مجلس الأمن ... وأخيرا بذلت حكومة الولايات المتحدة الأمريكية وساطتها لدى الطرفين لوقف القتال فورا تمهيدا لاقامة هدنة دائمة فى فلسطين ، فقبلت الحكومة المصرية ذلك متمشية مع سابق احترامها لقرارات مجلس الأمن الصادر فى ٤ و ١٦ من نوفمبر وفى ٢٩ من ديسمبر ١٩٤٨ على أن تنفذ الاجراءات الكفيلة بتنفيذ تلك القرارات ، وقد حدد الوسيط الساعة الثانية بعد الظهر من اليوم السابع من يناير ١٩٤٩ موعدا لتنفيذ وقف القتال فنفذ [١] .

وفى اليوم الثالث والعشرين من فبراير ١٩٤٩ انتهت المباحثات بين الدكتور « بانش » وسيط الأمم المتحدة بجزيرة رودس . وبين الوفد المصرى وممثلى اليهود ، واتفق الجانبان المصرى واليهودى على اقرار الهدنة الدائمة ثم تبادلوا الأسرى ..

الهدنة شر على العرب وخير لليهود

أصبحت الهدنة شرا مستطيرا على العرب لأنهم لم يتغلبوا على اليهود ، ولم يخرجوهم من فلسطين ، ولم

(١) من بيان مجلس الوزراء المصرى الرسمى .

يحققوا غرضهم من هذه الحرب ، لأنهم دخلوها من غير استعداد لها بالقوة ولا بالأخلاق كما قال شاهد من أهلها وهو الرئيس جمال عبد الناصر أحد أبطال هذه المعركة .

ولأن مصر حينئذ كانت تحت سيطرة الانجليز ، وكانت العراق تحت سيطرة الانجليز أيضا ، وكذلك كانت الأردن تحت سيطرة الانجليز ، أما السعودية فكانت تحت سيطرة الأمريكان .

ودخلت مصر الحرب بدون دبابات ، ولا خطوط امدادات ، بل بدون جيش سوى ثلاث كتائب وكل كتيبة كانت تتألف من حوالى ٨٠٠ عسكرى [١] وكان القائد العام لهذه الجيوش العربية المختلفة عربيا اسما وانجليزيا فعلا ، لأنه ينفذ خطة قائد جيش الأردن«جلوب الانجليزى» الذى كان مع اليهود بروحه وفعله . فكيف يمكن أن يغلب العرب اليهود وهم على هذه الحال ؟! :

كيف يستطيع هؤلاء العرب أن يتغلبوا على اليهود والدول الأوربية والأمريكية قد استعملت مع العرب

---

(١) من حديث الرئيس جمال عبد الناصر الى أعضاء المجلس التشريعى الفلسطينى فى قطاع غزة حين زاروه فى يوم ٢٦ يونية سنة ١٩٦٢ م .

أساليب الضغط بوساطة مجلس الأمن ، وأساليب الأمانى المعسولة ، ليقبلوا الهدنة ووقف القتال ، حتى أمر بعض ملوك العرب قصار النظر الذين غرتهم الوعود الاستعمارية، جيوشهم بالتخلى عن الجيش المصرى ، حينما حمى وطيس القتال — وكلما استؤنف القتال عاد مجلس الأمن فقــرر الهدنة حتى تكررت الهدنة خلال هذه الحرب فى أشهرها الثمانية ثلاث مرات ، جعلت الحرب على ثلاث مراحل ، وأكبر اللوم على هذه النكسة يعود الى ملوك العــرب المغفلين .

وأما أن الهدنة خير لليهود ، فلأنهم لم يخرجوا من فلسطين قلب العروبة ، وظلوا فيها شوكة دامية وخطــرا داهما على العرب ، كما أن تلك الهدنة أنقذت اليهود من القتال مع العرب الذين أطبقت جيوشهم عليهم فى الشهر الأول من الحرب من كل جانب وتغلغلوا حتى وصلوا الى مدى كيلومترات من تل أبيت ، ولولا الهدنة التى حمتهم لقضى عليهم وأخرجوا من فلسطين هذا الى أن تلك الهدنة قد مكنت اليهود من التنظيم والتسلح والاستعداد للجولات المقبلة ضد العرب وأقلها الاعتداءات المتكررة ضد العرب ليرهبوهم ، ويقلقوهم ، ويقضوا مضاجعهم ، فى وقت قيد

فيه العرب بقيود الهدنة ، وروقبوا فيه مراقبة شديدة من دول الاستعمار التى تحمى اليهود ، وتغض النظر عن خرقهم للهدنة وعن عدوانهم المتكرر .

ومما يثبت حماية دول الاستعمار لليهود وامدادهم بالأسلحة ما أذاعته الحكومة البريطانية فى اليوم السادس من يناير سنة ١٩٤٩ م من الوثائق التى تبين أن أمريكا وفرنسا قامتا بدورهما فى دعم سلاح الطيران اليهودى وتزويده بعتاد الحرب ، يضاف الى هذا معاونة وسط أوربا لليهود أيضا مما شجعهم على تكرار العدوان على العرب ، وخرق الهدنة غير عابئين بقرارات مجلس الأمن ، ولا محافظين على هيبته .

« ازدياد اعتداءات اليهود على العرب من تاريخ الهدنة الى اليوم »

لقد زاد اليهود عدوانا على العرب من تاريخ الهدنة الدائمة ، حتى كأن الهدنة عندهم احدى وسائل العدوان على العرب الذين احترموا اتفاقهم على هذه الهدنة ، وكفوا عن القتال ، اذ لم يكن من عاداتهم ومعتقداتهم الغدر والخيانة والطعن من الخلف ، لأن دستورهم الحربى قوله تعالى « وامَّا تَخَافَنَّ من قوم خِيانَةً فانبِذ اليهم على

سَـــواء » يعنى على علم متساو بينك وبينهم « انَّ الله لا يُحب الخائنين » [1] .

ومن أمثلة اعتداءاتهم على العرب أنهم هاجموا المصريين فى رفح وجنوبى القدس والخليل فى اليوم السادس من يناير سنة ١٩٤٩ ، وهو الشهر الذى تم فيه عقد الهـــدنة الدائمة ، ولم يعبئوا بانذار أمريكا لهم يوم ٣ من شهر يناير المذكور ، مما اضطر أمريكا الى تطبيق قرارات مجلس الأمن الصادرة فى ٤ ، ١٦ من شهر نوفمبر سنة ١٩٤٨ م وهى القرارات التى سبق أن قبلها الطرفان . ولم يكف اليهود بعد ذلك عن العدوان على العرب حتى لا يكاد يمر شهر بدون عدوان منذ اعترفت الدول الاستعمارية وهى « أمريكا والدول الأوربية » باسرائيل كدولة فى فلسطين فى عام ١٩٤٩ م وفى هذا العام كان عدد مرات الاعتداء ١٦ مرة أى أكثر من عدد أشهر السنة . ثم أخذ يزداد كل عام على التوالى حتى بلغ فى عام ١٩٥٥ م (٢٧٦ مرة) وبلغ عدد القتلى ١٥٥ قتيلا . وعدد الجرحى ١١١ جريحا ، وعدد الأسرى ٧٢ أســيرا ، ولذلك أدان مجلس الأمن اسرائيل المعتدية أربع مرات خلال عام ١٩٥٥ م ولكن لم

---

(١) فى سورة الأنفال آية ٥٨ .

يكن لاداته أية نتيجة عملية بدليل استمرار اليهـود فى العدوان . ومن أمثلة اعتداءات اسرائيل فى عام ١٩٥٥ م الاعتداء على غزة فى يوم ٢٨ فبراير سنة ١٩٥٥ م وكانت الخسائر العربية بسبب هذا الاعتداء ٣٩ قتيلا و ٣١ جريحا مدنيين وعسكريين وقد هنأ بن جوريون القتلة وأعلن آن تلك الغـارة كانت بنـاء عـلى موافقة مجلس الوزراء الاسرائيلى .

ومنها الاعتـداء على خـان يونس مركز الشرطة فى ٣١ أغسطس من العام نفسه وقد تمكن اليهود من نسفه وكانت الخسائر ١٢ قتيلا و ١١ جريحا و ٢٩ أسيرا .

ومنها الاعتداء على قرية « قبية » فى الأردن فى ليلة ١٥ من أكتوبر سنة ١٩٥٥ م أيضا .

ومنها الاعتـداء على طبرية « فى سورية فى ليـلة ١١ ديسمبر ١٩٥٥ م وكانت الخسـائر ثمانية ضـباط ، ٣٢ جنديا و ١٢ مدنيا ، منهم ٣ من النساء .

ومنها الاعتداء على الكنتلا فى مصر يوم ٢٨ أكتوبر من العام المذكور وكانت الخسائر ١٢ قتيلا ، ١١ جريحا ، ٢٩ أسيرا . ومنها الاعتداء على الصبحة فى مصر فى اليوم الثانى من نوفمبر من العام نفسه وكانت الخسائر ٥٠ قتيلا

و ٤٠ أسيرا ، وجريحا واحدا . ومنها الاعتداء على غزة ودير البلح وخان يونس بقذفها بالمدافع فى اليوم الخامس من أبريل سـنة ١٩٥٦ وقد قتل عـدد كبير من النساء والأطفال .

سعى اسرائيل لحرمان العرب من مياه انهارهم الطبيعية

ويا ليت اسرائيل اكتفت باعتداءاتها الغادرة على العرب فان أطماعها التى لا حد لها دفعتها الى أن تحرم العرب من مياه أنهارهم الطبيعية ، وأن تنقص من أرضـهم المنزرعة لتزيد زراعتها هى على حساب العرب أصحاب البـلاد الأصليين ومن أمثلة ذلك مشروع تحويل مجرى نهر الأردن من البلاد العربية التى يمر بها ، وهو المشروع الذى تقدمت به اسرائيـل وأمريكا الى مجلس الأمن باسـم مشروع « جونسون » ولكن الدول العربية قد اتفقت جميعها على رفض هذا المشروع ، لأن منابع هذا النهر تقع فى أراضى سورية ولبنان والأردن ، ومن حق رعاياها الانتفاع بالمياه التى ستحول الى أرض اليهود وكان مجلس الأمن قد أصدر قراراته سنة ١٩٥٣ بوقف اسرائيل عن حفر مجرى نهـر الأردن فى المنطقة المنزوعة السلاح .

على أن هذا المشروع العدوانى سـياسى أكثر منـه

اقتضادى ، لأن الغرض الأساسى منه اغراء اليهود المهاجرين الجدد الى اسرائيل بزيادة مساحة اسرائيل الزراعية والصناعية .

وليس مشروع جونسن هو آخر مشروعات اسرائيل العدوانية ، فان لدى اسرائيل مشروعات صناعية حربية وغير حربية لتمكنها من غزو الشرق الأوسط اقتصاديا ، لتتحكم فى شئونه المالية ، وتمسك بزمام تجارته ، وتتصرف فى أهله وحكامه كيف تشاء ، ولا يخفى على أحد أن اليهود هم أصحاب البيوت المالية وملاك أعظم الصناعات فى أوربا وأمريكا ، وهم يعملون الآن لتكون تل أبيب مقرا لأكبر البيوت والمصارف المالية . ولتصبح اسرائيل أعظم المراكز الصناعية فى الشرق الأوسط بل فى الشرق كله .

وهكذا ترى أطماعهم التى لا حصر لها يساعدهم على بلوغها السعى الدائب واغتنام الفرص ، ومساعدة الدول الاستعمارية لهم . أما سعى اليهود المتواصل ومساعدة الاستعمار لهم فقد سبق الاستدلال عليه من أعمالهم ومشروعاتهم واعتداءاتهم المتكررة ، وأما اغتنامهم للفرص وان كانت قد سبقت الاشارة اليه ، فان أقوالهم التى تنشرها صحفهم الناطقة بلسانهم أقوى فى الاستدلال على حرصهم

على انتهاز الفرص وعلى تربصهم بالعرب فى كل حين . فقد نشرت صحيفة حيروت لسان حزب « حيروت » الاسرائيلى مقالا لاذعا ولوما شـديداً لحـزب بن جوريون فى أثنـاء انتخاباتهم الماضية فى شهر أغسطس سنة ١٩٦١ يقول فيه . ان حزب بن جوريون سيضيع علينا فرصا كثيرة لما قتـل الملك عبد الله (ملك الأردن) ضيعوا علينا فرصة الاستيلاء على غرب الأردن ، وأيام الانقلابات المتتالية التى كانت تحدث فى سورية ضيعوا فرصة تعديل الحدود الممـدودة « شرق بحيرة طبرية » .

وتناولوا أيضا فى أحاديثهم قطاع غزة وكيف أن مؤامرة بن جوريون حينما اشترك فى العدوان الثلاثى على مصر سنة ١٩٥٦ قد ضاعت بدون تنيجة ، فلم يأخذوا قطاع غزة ولم يحققوا أى هدف من أهدافهم [١] .

من هذه الأقوال يتبين بجلاء أن حزب «حيروت» يتحسر على ضياع الفرص من حزب بن جوريون فى الماضى ويلومه لوما شديدا على اضاعتها ، وأن فى نيتهم وعزمهم أن يأخذوا

---

(١) من خطاب الرئيس جمال عبد الناصر الذى ألقاه فى شـباب الاقاليم الشمالى (سـورية) فى أثناء زيارتهم للاقليم الجنوبى (مصر) فى ١٩٦٢/٨/١٧ .

غرب الأردن ، وأن يستولوا على قطاع غزة وعلى المنطقة الشرقية لبحيرة طبرية فى سورية لو أتيحت لهم الفرصة .

وأن اسرائيل اذن تمثل خطرين جسيمين :

الخطر الأول هو وجودها فى فلسطين ، واغتصابها لحقوق شعب فلسطين .

الخطر الثانى هو اتجاهها للتوسع على حساب الشعب العربى ولو بابادة العرب أجمعين .

الفصل الحادي عشر

خطط إسرائيل لاغتصاب بلاد العرب

ان خطط زعماء اسرائيل لاغتصاب بلاد العـرب قد كشفها موسى شاريت وزير خارجية اسرائيل فى تصريحه الذى ألقاه فى الكنيست على أثر مشروع شن حرب وقائية على الدول العربية قال :

« ان اسرائيل لن يكتب لها البقاء ما لم تشنّ حربا وقائية على الدول العربية ، وتمد حدودها داخل هذه الدول حتى تضمن سلامتها ، وتحقق الحلم الذى طالما حلـم به فلاسفة الصهيونية ، ألا وهو اقامة امبراطورية اسرائيلية ممتدة الأرجاء تفرض سلطانا قويا يخافه الجميع » (١) .

وكذلك صرح بن جوريون رئيس وزراء اسرائيـل ووزير الدفاع فى خطاب انتخابى فقال :

على العـرب أن يعلمـوا أن اسرائيل قد قامت بحد

---

(١) نشر فى صحيفة جيرورالم بوست .

السلاح ، وأنها لن تقنع بحدودها الحالية ، ان الامبراطورية الاسرائيلية ستمتدّ من الفرات الى النيل ولذلك يجب علينا أن نوجه انتاجنا وامكانياتنا لتحقيق هذا الغرض فى أقرب وقت مُستطاع .

وقد خطب بيرنشتين وزير التجارة والصناعة السابق لاسرائيل ورئيس حزب الصهيونيين العموميين فقال :

على اسرائيل أن تبدأ بشن الهجوم على الدول العربية فى حرب خاطفة لتقضى على هذه الدول قبل أن يكون فى استطاعتها القضاء على اسرائيل ... وقال فى تصريح آخر على شعب اسرائيل أن يقلل من استهلاكه للكماليات ويتكتل وراء زعمائه استعدادا للساعة الرهيبة التى تمحى فيها الدول العربيـــة من الوجود ونشرت صـــحيفة هاأرتس الاسرائيلية تصريحا « لموسى ديان » قائد الجيش الاسرائيلى فى الثالث من شهر يوليو سنة ١٩٥٥ م قال : « يجب على اسرائيل أن تستعد لحرب قصيرة الأمد تقرر نتيجتها بعد معركة أو معركتين ، وليس فى وسع اسرائيل أن تضيع دقيقة واحدة للاستعداد لهذه الحرب الخاطفة التى يجب أن تشنها على أعدائها العرب ، وعلينا أن نعد كل شىء لهذه الحرب التى ستقع ولا شك .

وقال مناحم بيجن زعيم حزب حيروت فى مؤتمر عقده المحاربون القدماء لمنظمة الأرجون الأرهابية فى ٢٨ أكتوبر سنة ١٩٥٥ م : « يا بنى اسرائيل ويا شباب منظمة الأرجون، ان العدو يحيط بنا من كل جانب ، واننا ان لم نهاجمه فى دياره ، ونحطم قوته الحربية قام هو وحطم دولة اسرائيل ، وعليكم يقع واجب المحافظة على دولتكم وتوسيع رقعتها، ان قتل عربى معناه اضعاف أعدائكم وتثبيت أقدامكم فلا تتوانوا فى قتل أعدائكم ولا تأخذكم بهم رأفة أو رحمة حتى نقضى على حضارة العرب المزعومة ونقيم عليها حضارة اسرائيل » [١] .

وبعد .. فهذه خطط اسرائيل لاغتصاب بلاد العرب والقضاء عليهم ، فقد أجمع زعماؤهم وقادتهم — كما هو ثابت فى أقوالهم السابقة — على أربع خطط اجرامية خطيرة:

أولا : شن حرب وقائية أو حرب خاطفة على الدول العربية .

ثانيا : القضاء التام على الدول العربية بالحرب الجماعية والقتل الفردى .

---

(١) المصدر كتاب اسرائيل العدو المشترك صفحة ٢٤٧ و ٢٤٩ .

ثالثا : توسيع حدود اسرائيل داخل البلاد العربية وقد صرح « بن جوريون » بأنها تمتد من الفرات الى النيل.

رابعا : القضاء على حضارة العرب واقامة حضـــارة اسرائيل على أنقاضها . ومن المعلوم أن حضارة العرب قائمة على الدين ومعنى ذلك محو الدين المسيحى والاسلامى .

فهل يليق أن يضع العرب بعد ما سمعوا وما رأوا — أيديهم فى أيدى الصهيونيين الذين تضطرم نيران العداوة فى قلوبهم فيتطاير شررها من أفواههم أقوالا ، ومن أيديهم اعتداء وأنكالا ؟!

وهل يطمئن العرب لاسرائيل بعد ما رأوا من غدرهم واعتداءاتهم ووحشيتهم ؟ لقد قال الرئيس جمال عبد الناصر الحق صريحا حين قال : اننا نتوقع العدوان الاسرائيلى كل يوم ، وانا له على استعداد .

من وسائل استعداد مصر لدرء خطر اسرائيل

ومن وسائل استعداد مصر لدفع خطر اسرائيل « صفقة الأســلحة » التى اشـــترتها مصر من تشيكوســلوفاكيا سنة ١٩٥٥ م بعد أن رفضت بريطانيا وأمريكا طلب مصر لشراء الأسلحة منهما الا بقيود تقيد حريتها واستقلالها فى الوقت الذى كانت أمريكا وبريطانيا فيه تغمران اسرائيل

بالأسلحة بلا قيد ولا شرط . فرفضت مصر شراء الأسلحة منهما بتلك القيــود المفروضــة ، واشترت أسلحتها من تشيكوسلوفاكيا بلا قيد ولا شرط ، وكان لاعلان الرئيس جمال عبد الناصر نبأ وصول الأسلحة التشيكية لمصر فى الثانى من أكتوبر سنة ١٩٥٥ م ، دوى عظيم فى العالم كله أقوى من دوى القذائف الهيدروجينية ، اذ افزع اليهود وحماتهم كل الفزع ، وبخاصة بعد أن ظهر أثر ذلك سريعا فى تحرك الجيش المصرى بقيادة الشاب الثائر اللواء أركان حرب « عبد الحكيم عامر » الى الحدود المصرية ليحرسها ويحميها من اليهود .

ومن خطبة للرئيس جمال عبد النــاصر يوم اعــلان « صفقة الأسلحة » .

« اليوم أصبحنا أغنياء بالرجال ، أغنياء بالايمــان ، أغنياء بالتضحية ، أغنياء أيضا بالسلاح وبهذا ستسير مصر قدما الى الأمام فى خطتها ، لا ضعف ولا استضعاف ، بل تصميم وعزم ، حتى نسلح جيش مصر ، ونتمكن جميعا من أن ندافع عن حدود مصر ، ونرد العدوان بالعدوان » .

فزع الصهيونيين من صفقة الأسلحة التشيكية

آما الصهيونيون الذين كانوا بالأمس يهــددون مصر ويوعدون ، فقد استولى عليهم الفزع والجزع والهلع حتى

ظهر ذلك فى صراخهم وعويلهم ، وخرست ألسنة أسلحتهم بعد أن نطقت ألسنة الأسلحة المصرية وأعلن « موسى شاريت » أن طائرات مصر تستطيع ضرب « تل أبيب » فى ربع ساعة وأن فى استطاعتها لتفوقها على طائرات اسرائيل ، أن تضرب كل بقعة فى اسرائيل وأن تدمرها تدميرا .

وكذلك رددت أمريكا وبريطانيا الصيحات ، وأكثرت من التحذيرات والانذارات لمصر ، بدعوى المحافظة على التوازن فى القوى بين العرب واسرائيل .

وليس عجيبا أن تسكت أمريكا وبريطانيا عن دعوى التوازن فى القوى أيام تفوق اسرائيل على العرب فى الأسلحة قبل ذلك . لأن قوى البغى الاستعمارى قد تضافرت مع وليدتها اسرائيل الجديدة على القضاء على مصر مهبط القومية العربية ، وحاملة لواء الاستقلال والتحرر العربى الأفريقى .

الفصل الثانى عشر

العدوان الثلاثى على مصر سنة ١٩٥٦ م

ولقد ظهر ذلك التآمر الغادر للعالم أجمع فى العدوان الثلاثى على مصر فى ٢٩ من أكتوبر سنة ١٩٥٦ م ولو بحثنا عن أسباب هذا العدوان الأثيم لوجدنا من أسبابه غير المباشرة :

سحب وزير خارجية أمريكا « دلاس » عرض المساهمة فى تمويل السد العالى الذى تقرر اقامته بمصر لتعجز مصر عن تنفيذ هذا المشروع الحيوى الاقتصادى العظيم .

ومن أسبابه المباشرة : تأميم قناة السويس فى ٢٦ من يوليو سنة ١٩٥٦ وذلك لايجاد المال اللازم لتنفيذ هذا المشروع ، ولزيادة الدخل القومى للبلاد .

وقد كان لهذا التأميم هزة فرح عظيم فى نفوس الشعب المصرى ، بل فى العالم العربى أجمع ، حتى صرح بذلك مؤمم القناة فى حديثه مع « دافيد واين مورجان »



الانجليزى[1] ، بأنه لم يكن يتصور مدى الفرحة التى استقبل بها تأميم القناة ، لا فى الشعب المصرى وحده ، ولكن فى العالم العربى كله ، وتكاد تكون هذه المرة الأولى التى تتجلى فيها الوحدة العربية التامة على المستوى الشعبى.

أما دول الغرب الاستعمارية فقد كان رد الفعل سخطا شديدا فى نفوس حكام « لندن » وباريس وحكام الوليدة المتبناة « تل أبيب » وقد استبد بهم السخط والغضب على مصر حتى دفعهم الى سرعة الرد بعنف وقسوة على رئيس الجمهورية المصرية الفتية الذى كان جريئا فى تأميم القناة جرأة لم يشهدوا مثلها فى مصرى من قبله فعقدوا مؤتمرات كثيرة ، ودبروا المؤامرات ، فبدأوا بالمفاوضات المشتركة لسلب الشعب المصرى جزءا حيويا من وطنه ، ونهب مصدر عظيم من مصادر أمواله المتدفقة منه تدفق مياهه الغزيرة التى لا ينضب معينها تلك هى « قناة السويس » التى انتزعت من أيدى الاستعمار بعد أن ظلت قابضة عليها تسعين سنة ونيفا ولكن المفاوضات لم تسفر عن النجاح الذى تنشده تلك الدول الاستعمارية ، فقد رفض رئيس

---

(١) نشر هذا الحديث فى الأهرام تحت عنوان « لمحات من قصة عبد الناصر » بتاريخ ١٩٦٢/٦/٢٥ .

الجمهورية المصرية قرارات مؤتمر « لندن » الثلاثة وهى « تدويل القناة المصرية »[1] كما رفض قرارات هيئة المنتفعين بالقناة المؤيدة للتدويل . لأنه كان مؤمنا كل الايمان بحق مصر فى القناة كما قال فى حديثه مع « مرجان » وكنت مؤمنا تمام الايمان بحقنا فيما أقدمنا عليه ، يعنى تأميم قناة السويس .

ولما فشلت المفاوضات الاستعمارية اتخذت بريطانيا وفرنسا من وسائل الضغط على مصر ما لا يقره قانون ولا عدل فقد جمدتا أموال مصر فى لندن وباريس .

كما أرسلتا قواتهما البحرية الى قبرص وحوض البحر الأبيض المتوسط استعداداً للعدوان على مصر من أقرب مكان وكذلك حرضتا المرشدين الأجانب للسفن والموظفين الفنيين العاملين فى قناة السويس على التخلى عن وظائفهم والانسحاب من أعمالهم وترك واجباتهم فى يوم ١٤ من سبتمبر سنة ١٩٥٦ م لتعطيل الملاحة فى هذا الممر المائى الحيوى لاحراج مركز الحكومة المصرية ، واظهارها بمظهر العاجز أمام العالم الخارجى . فانسحب المرشدون الأجانب

---

(١) حمل مشروع المؤتمر لتدويل القناة الى مصر « روبرت منزيس » رئيس وزراء استراليا فرفض .

ولم يبق بعـد ذلك الا ٢٦ مرشدا مـدربا ، و ٣٠ تحت التمرين فى الوقت الذى كان تسيير الملاحة فى قناة السويس يحتاج الى ٢٥٠ مرشـدا فى الأيام العـادية [1] . ولكن المرشدين المصريين قد سهروا مع قلة عددهم على سير الملاحة فى القناة حتى كان الواحد منهم يعمل ٧٢ ساعة متواصلة باشراف المهندس الوطنى المخلص « محمود يونس » حتى كلل الله أعمالهم بالنجاح ، وفشلت كذلك هذه التدابير التخريبية ، والاجراءات التعسفية ، كما فشلت من قبلها المفاوضات . وظلت مصر ثابتة كالطود متمسكة بحقوقها وسيادتها على أراضيها ومياهها الاقليمية .

اشتراك اسرائيل فى العدوان على مصر

وبعد أن تحطمت أسلحة الضغط السابقة على صخرة مصر الصلبة ، اندفعت بريطانيا وفرنسا اندفاع الكلاب المسعورة لاحتلال قناة السويس عنوة وقسرا ، وخيانة وغدرا ، وكانت اسرائيل عدوة العرب رقم واحد ترقب هذه الفرصة وتتلهف على تلك المؤامرات الجنائية الوحشية ، لسحق القومية العربية فى مهدها فى مصر فأرسلت الدولتان

---

(١) من حديث رئيس الجمهورية المصرية مع «مرجان» فى أهرام ٦٢/٦/٢٦ .

الكبريان الى اسرائيل كثيرا من الامـدادات العسكرية والحربية ايذانا بقرب الغزو المرتقب ولم يمض على تأميم القناة ثلاثة أشهر حتى نفذت خطة العدوان الثلاثى على مصر من جيوش بريطـانيا وفرنسا واداتهما اسرائيل ، لخوض حرب خاطفة من الجو والبر والبحـر ، لتحقق به نصرا سريعا .

ولم تبال كل من انجلترا وفرنسا بقرار هيئـة الأمم المتحدة وقرار مجلس الأمن الصـادر فى ١٣ من أكتوبر سنة ١٩٥٦ م والذى كان يقضى بلزوم تسوية مشكلة القناة التى اختلقتها بريطانيا وفرنسا اختلاقا ، عن طريق المفاوضات المباشرة ، بل تحدت كلتاهما قرار الهيئة العالمية للانتقام من مصر والقضاء على القومية العربية التى تتولى القاهـرة تعهدها ورعايتها وقيادتها .

وفى ليلة ٢٩ من أكتوبر سنة ١٩٥٦ م صدرت الاشارة الى اسرائيل بالانطلاق فانطلقت فى هجوم غادر على الأراضى المصرية ، واحتلت بعض المخافر الأمامية المجردة من السلاح جنوب « سيناء » متذرعة بحجة كاذبة هى القضاء على قواعد الفدائيين المصريين فى منطقة النقب ، وكانت اسرائيل تبغى فى الحقيقة استدراج الجيش المصرى اليها فى تلك

المواقع النائية لاتاحة الفرصة للقوات البريطانية والفرنسية للسطو جوا وبحـرا على الموانىء المصرية واحتـلالها، والرجوع بتاريخ مصر الى الوراء واعادة حالتها الى أسوأ مما كانت عليه قبل الثورة وقبل جلاء الأجانب عنها وقبل تأميم قناة السويس .

وكان دور اسرائيل فى سورية والأردن هو اثارة الفتن واحداث الاضطرابات الداخلية فيها والانقلابات الارهابية حتى تشغل الشعوب العربية بأحداثها الداخلية ، وتغفل عما يدبره لها أعداؤها المتربصون بها ، ولكن دوائر أمن الجيش السورى كشفت عن حقيقة المؤامرة المبيتة ضدها فقضت عليها فى مهدها .

الاشتباكات الحربية بين مصر واسرائيل

وفى ٢٩ من أكتوبر سنة ١٩٥٦ وقعت اشتباكات طاحنة بين مصر واسرائيل أصيب فيها اليهود المعتدون بخسائر فادحة وبخاصة سلاح الطـيران الاسرائيلى ، ولذلك لم يستطع الجيش الاسرائيلى التغلغـل فى الأراضى المصرية. وقد تحقق المراقبون فى ذلك اليوم أن مصر كفء لسحق اليهودية المعتدية وابادتها ولا سيما بعد وصول الدبابات الثقيلة من طراز ستالين الى ساحة المعركة .

ولقد أيد البلاغ المصرى الحربى الصادر فى ٣١ من أكتوبر رقم (٥) سيطرة الجيش المصرى على الموقف فقال « ان القوات المصرية مسيطرة على الموقف سيطرة تامة ، وهى قادرة على حماية قناة السويس من جميع الأخطار التى تهددها .

الهجوم على بور سعيد

ولما أيقنت كل من بريطانيا وفرنسا أن اليهود قد أصيبوا بضربات قاصمة من الجيش المصرى أسرعتا بتوجيه انذار الى الحكومة المصرية بوجوب السماح لقواتهما العسكرية باحتلال « بور سعيد والاسماعيلية والسويس » بحجج كاذبة منها : الفصل بين المتحاربين المصريين واليهود واحلال السلام بينهما .

ومنها : حماية المرور فى قناة السويس من خطر القتال .

وقد نص الانذار أيضا على أنه اذا لم توافق مصر خلال مدة ١٢ ساعة على الاحتلال المطلوب فان الدولتين ستقومان بتحقيقه بالقوة .

ولكن عزة مصر وكرامة جيشها أبتا عليها قبول ذلك الانذار الظالم ، فرفضته رفضا باتا قاطعا . فأسرعت جيوش بريطانيا وفرنسا وانضمت الى جيش اسرائيل ، وتجمعت

قوى العدوان الثلاثى فقصفت كثيرا من المدن المصرية بالمدافع من الجو ومن البر والبحر ، وهاجمت مدينة بور سعيد بشدة وعنف ، فقابلها الجيش المصرى والشعب مقابلة الأبطال الفدائيين ، ودافع عنها بكل شجاعة وتضحية شارعا فشارعا ، وبيتا فبيتا مدة ١٠ أيام ولياليها ، حتى تهدمت مبانى المدينة ، ولكن لم تتهدم نفوس أهلها الأبطال، ولم يشهد التاريخ بمثل موقف بور سعيد الا لموقف « استالينجراد » السوفيتية فى بطولتها أثناء صد الزحف النازى عنها ابّان الحرب العالمية الثانية سنة ١٩٣٩ م .

وكان من نتائج موقف أبطال بور سعيد المشرف : أن وحد صفوف الدول العربية المتحررة فأظهرت التضامن الأخوى الوثيق مع مصر فى شدتها ، واستعدادها لمؤازرتها بالمال والرجال ، فقد هبت سورية والأردن والسعودية فى ذلك الوقت كتلة واحدة لمناصرة شقيقتها الكبرى مصر ، ولم تتردد فى قطع علاقاتها بالدول المعتدية وفى منع وصول البترول اليها وهو عصب الحرب ، وشريان حياة الغرب .

وكذلك كان لموقف بور سعيد من العدوان الثلاثى الغاشم أثره فى تحريك الضمير العالمى وفى منظمة الأمم المتحدة التى ناصرت الحق وقضية السلام ، وقاومت البغى

والعدوان ، فأصدرت قراراتها النهائية فى دروة استثنائية فى ٢ من نوفمبر سنة ١٩٥٦ بأغلبية ٦٤ صوتا ، بدعوة المتحاربين الى وقف اطلاق النار ، واتخاذ الاجراءات اللازمة لفتح قناة السويس ، والمحافظة على حرية الملاحة ، وبقاء الدورة الاستثنائية للجمعية العامة مستمرة حتى يتم تنفيذ القرار .

ولكن قوى الشر العدوانية الثلاث لم تستجب لقرارات هيئة الأمم المتحدة العالمية ومجلس الأمن بل استمرت فى عدوانها غير مكترثة بقراراتها .

عند ذلك انبرى اليها الاتحاد السوفييتى وأصدر بيانا رسميا جاء فيه « ان شعوب العالم جميعا تستنكر أعمق استنكار الأعمال الاجرامية التى تقترفها الدوائر الاستعمارية فى بريطانيا وفرنسا واسرائيل التى شنت حرب نهب واغتصاب ضد الشعب المصرى بغية الاستيلاء على قناة السويس » .

وناشد البيان السوفييتى بعد ذلك الأمم المتحدة اثبات وجودها باتخاذ تدابير عاجلة فعالة من أجل وقف الأعمال العدوانية على مصر وسحب القوات الأجنبية من الأراضى المصرية .

كذلك احتجت الولايات المتحدة الأمريكية على بريطانيا

وفرنسا فى الثانى من نوفمبر سنة ١٩٥٦ م لاستخدامها أسلحة منظمة حلف الأطلنطى فى الأغراض العدوانية .

واحتجت كذلك حكومات الصين الشعبية والهند وبلغاريا ويوغوسلافيا واندونيسيا وغيرها ضد اصرار مجرمى الحرب الثلاثة / ايدن الانجليزى ، وجى موليه الفرنسى ، وبن جوريون اليهودى .

وأقرت الجمعية العامة للأمم المتحدة المشروع الكندى بانشاء قوة طوارىء دولية تابعة للأمم المتحدة تتولى تنفيذ قرارها الصادر فى الثالث من شهر نوفمبر سنة ١٩٥٦م .

ووافقت الجمعية العمومية على مشروع الدول الاسيوية الافريقية الذى يفرض على قوى العدوان الثلاث تنفيذ قرار وقف اطلاق النار ، وسحب قواتها المعتدية من الأراضى المصرية تحت اشراف قوة الطوارىء الدولية .

وعلى الرغم من استنكار العالم كله لاجرام المعتدين واحتجاج معظم الدول عليهم وقرارات الجمعية العامة للأمم المتحدة بوقف اطلاق النار ، فان ضمائر المعتدين لم تتحرك ، ولم تسكن ثائرتهم ولم تخمد نار حقدهم وغلهم ، بل استمروا فى عدوانهم الوحشى حتى أرسل المارشال « بولجانين » زعيم الكرملين ثلاثة انذارات شديدة الى

بريطانيا وفرنسا واسرائيل جاء فيها « انه يستحيل علينا أن نبرر الهجوم الذى قامت به القـوات المسلحة لبريطانيا وفرنسا » ولعبت فيه دورا حقيرا مكشوفا » وهما دولتان كبريان وعضوان دائمان فى مجلس الأمن على دولة صغيرة لم تحصل على استقلالها الا حديثا وليس لديهـا وسائل الدفاع الكافية . ثم قال « لقد قررنا عن طريق استخدام القوة أن تتغلب على المعتدين ، ونوقف بأنفسنا الحرب المشتعلة فى الشرق الأوسط » .

وجاء فى انذار « بولجانين الى بن جوريون » ان الانسانية كلها تشجب[1] باشمئزاز أعمالكم العـدوانية على مصر المسالمة وسيادتها . واننا لنرى أن اسرائيل لا تزال أداة شر وسوء فى أيدى المستعمرين توالى دون انقطاع مغامرات جنونية يأباها العالم أجمع .

واستمر المارشال السوفييتى يقبح أعمال اسرائيل فيقول « ولكن أعمـالا كهذه لا تبرهن الا عن القيمة الحقيقيـة لادعاءات اسرائيل الكاذبة ، وأراجيفها الزائفة بأنها تريد العيش بسلام مع الشعوب العربية ، ان اسرائيل باتخاذها

(١) تشـحب : تحزن وتهتم وتنظر نظرة اشـمئزاز الى أعمالكم العدوانية .

هذا الموقف الشائن قد تصرفت تصرفا اجراميا سافلا يعرض كيانها نفسه للخطر ، وما عليها الا أن تقدر هذا الانذار حق قدره قبل فوات الأوان [1] .

اعـــلان وقف القتال

ولما رأت حكومة كل من بريطانيا وفرنسا ان استمرارها فى العدوان على مصر سيجرهم الى حرب عالمية ثالثة ، بعد الانذار السوفييتى ، تحمل فى طياتها الخراب والدمار ، وأن العالم كله حتى الأحرار من شعوبهم ضدهم ، وأن الجيش المصرى يؤيده الشعب كله فى التضحية وبذل النفس والمال كما حدث فى بور سعيد ، خضعت حكومة المعتدين مكرهة ، وأعلنت فى مجلس الأمن قرار وقف القتال فى صباح الأربعاء السابع من شهر نوفمبر ١٩٥٦ م وفى اليوم الرابع عشر من شهر نوفمبر صدرت الأوامر لطلائع القوات الدولية بالتوجه الى مصر ، وبعد وصـــولها شرعت القـــوات البريطـــانية والفرنسية فى الجلاء عن « بور سعيد » تجر أذيال الهزيمة والخزى والفضيحة ، حتى أشارت الى ذلك صحيفة « الديلى هيرالد » اللندنيةفى ذلك اليوم فقالت « ان على ايدن والحال هذه أن يختفى من أفق السياسة قبل أن تكون بريطانيـــا

(١) كتاب اسرائيل جناية وخيانة صفحة ١٨٥ ــ ١٨٦ .

قادرة على الزعم من جديد بأنها فى عداد الدول المحبة للسلام والحـُـرّية .

وكذلك جاهر الفيلسوف البريطانى « برتراند راسل » الذى كان يبلغ من العمر تسعين عاما فى صراحة وحرية وجرأة فى برنامج تليفزيونى فى شهر يونية سنة ١٩٦٢ م حينما سئل عن رأيه فى « هارولد ماكميلان » رئيس وزراء بريطانيا . اذ أجاب بقوله : « اننى لا أحترم هذا الرجـل ، لأنه أيد الهجـوم على السـويس الذى يعتبر من أكثر الأعمـال حماقة »[١] .

العجب من تمادى اسرائيل فى أطماعها

وأن تعجب لمعارضة بريطانيا وفرنسا للرأى العام العالمى ولقرار هيئة الأمم المتحدة المشار اليهما آنفا . فاعجب كل العجب من تمادى اسرائيل فى أطماعها حتى بعد وقف القتال ومن معارضتها لانسحاب قوات العدوان من مصر لعلها تنال بعض ما كانت تتمنى من المغانم والمكاسب ولكنها لم تستطع الوقوف أمام تيار الرأى العالمى الجارف وفرض العقوبات الدولية عليها ، فانهارت آمالها وتبددت أحلامها بعد انسحاب

---

(١) الأهرام فى ١٩٦٢/٦/٢٥ .

جيوش الدولتين الكبيرتين التى كانت حماتها وسندها .
ولولاها ما جرؤت اسرائيل على الاشتباك مع جيش مصر الباسل المشهود له فى التاريخ بقوة البأس ، وشدة المراس ، وكثرة الانتصارات على أقوى الأعداء ومنهم التتار والانجليز والفرنسيين .

فلم تجرؤ اسرائيل بعد انهيار سندها الاستعمارى على الوقوف وحدها أمام الجيش المصرى ، فلحقت بجيوش حليفتيها المطرودتين ، ولكن طبعها السوء أبى عليها أن تخرج من صحراء سيناء حتى تقترف من جرائم القتل والذبح بالجملة ما تنفر منه النفوس الأبية ، وتتبرأ منه الانسانية مما لا تزال آثاره السيئة ماثلة فى كل أرض لوثتها أقدامهم مثل غزة ، وخان يونس ، ورفح والعريش ، ومعسكرات اللاجئين.

وما زالت اسرائيل — على الرغم من هزيمتها فى حرب السويس سنة ١٩٥٦ م ما زالت تواصل تهديدها لمصر بشن حرب جديدة لاقتحام القناة وخليج العقبة ، بل سولت لها نفسها الأمارة بالسوء أن تحتل القاهرة ، ودمشق وعمان ، وبيروت بل والبـلاد العربية كلها ، فلم تردعها الحوادث الغابرة ، ولم تزجرها الهزيمة المنكرة ، ولم تنتفع بتجاربها المرة حتى صدق عليها قول القائل :

وفى غابر الأيام ما يزع الفتى
ولا خير فيمن لم تعظه تجاربه

ولا تزال اسرائيل سادرة فى غلوائها ، لابسة ثوب خيلائها ، مغرورة بمؤازرة الدول الاستعمارية لها حتى عقدت مع فرنسا حلفا عدوانيا على مصر بعد خيبتهما فى العدوان الثلاثى عليها ، وقد كشفت عن هذا الحلف صحيفتان فرنسيتان هما صحيفة « الأومانيتية » وصحيفة « الأوبر فاتورا » فى عدديهما الصادرين فى ١٧ ، ١٨ من أبريل سنة ١٩٥٧ م حول تأهب القوات الاسرائيلية الفرنسية المشتركة للقيام باعتداء جديد على الوطن العربى يؤازرها من وراء ستار « ايزنهاور » و « ماكميلان » .

وهناك أدلة أخرى تثبت ما تبيته اسرائيل مع الدول الاستعمارية من عدوان جديد لاحتلال البلاد العربية وطرد أهلها منها كما طردوا أهالى فلسطين ، غير عابئين بالقوانين الدولية ولا بمنظمة الأمم المتحدة .

ومن بين هذه الأدلة اصرار تلك الدول على رفض المقترحات التى قدمها اليها « جروميكو » وزير الخارجية السوفيتية فى ١٩ من شهر أبريل سنة ١٩٥٧ م لاصدار بيان مشترك تتعهد فيه الدول الأربع الكبرى (روسيا وأمريكا

وبريطانيا وفرنسا) باحترام استقلال الدول العربية وسيادتها، وتجنب سياسة العدوان واستخدام القوة فى حل المشكلات العربية اليهودية القائمة .

قل للثعالب قد نبهتم السبعا

قل لليهود ودول الاستعمار لقد نبهتم العرب بعدوانكم الغادر على فلسطين ومصر ، وبما تقومون به من تفريق الصفوف ، وتمزيق الوحدة العربية ، واستعدادات حربية ، وما يصحبها من شبكات التجسس التى يكشف أمرها كل حين ، ويهتك سترها ، ويفضح سرها ويعاقب أدواتها الذين باعوا أنفسهم وخسروا شرفهم وحياتهم لقد مضى عهد الغفلة عهد الاستعمار وتنبه العرب لما يحيط بهم من خطر الصهيونية وأذناب الاستعمار فلم يعد يخيفهم الضغط الاستعمارى ، ولا تخدعهم الوعود الخلابة ، ولا ينقصهم الوعى القومى .

وها هى ذى الصحف اللبنانية تنشر فى شهر يونية سنة ١٩٦٢ م تصريحا أدلى به « ميشيل عفلق » ينبه على المؤامرات الصهيونية فيقول :

ان الوحدة العربية تواجه اليوم تآمرا استعماريا ، وصهيونيا ، ورجعيا ، وشيوعيا ، ولذلك فان تجربة الوحدة

الثانية يجب أن تكون نهائية ، لأنه لن تكون هناك تجربة ثالثـــة .

ثم قال أيضا فى تصريحه « انه ليس من حق أى قطر أن يرفض الوحدة ، لأن التجربة السابقة انتكست .. فان هذه التجربة ملك للأمة العربية كلها « وختم « عفلق » تصريحه بقوله » ان حزب البعث يؤمن بأن قيام الوحدة يجب أن يكون على اساس تعاون الحــركات والقوى القــومية ، التقدمية ، ومع نظام « جمال عبد الناصر » بالذات لأن حركته تقدمية ذات محتوى شعبى تقدمى » .

لقد مضى العهد الذى كانت تقرر فيه شئون العرب فى خارج بلادهم ، وأضحى للشعوب العربية شخصية قوية مستقلة دولية بارزة ، ورأى ذو شأن فى توجيه السياسة الخارجية ، وتصريف الامور العامة وفق مصالحها .

لن يستقر السلام فى الشرق الأوسط مادام اليهود فى فلسطين

ولن يستقر الأمن والسلام فى الشرق الأوسط ما دام اليهود فى فلسطين قلب العروبة النابض ، وواسطة عقد البلاد العربية ، وكيف ينتظم العقد اذا ضاعت واسطته » ؟

لن يستقر الأمن والسلام فى الشرق الأوسط ما دام هناك نحو مليون لاجىء فلسطينى عربى . يذكرون بلادهم فلسطين

كما يذكرون آباءهم وأبناءهم أشد ذكرا ، ولا يزالون يرقبون الفرصة للعودة الى بلادهم أكثر مما كان ينتظره اليهود من العودة الى أرض الميعاد . لأن عرب فلسطين هم أصحابها الشرعيون الذين أخرجوا منها ظلما وعدوانا ويؤيد ذلك ما قاله المؤرخ الانجليزى العالمى «تورلند توينبى» فى مناظرته مع سفير اسرائيل فى كندا سنة ١٩٦٢ م قال « ان عرب فلسطين اللاجئين الحاليين سيكونون يهود الوقت الحاضر ويهود الغد » لأنهم الآن فى نفس الحالة العقلية التى كان فيها اليهود بعد نفيهم على يدى « نبوخذ نصر » ويبدو أن فلسطين هذه ذات سحر خاص فى نفوس الشعوب ، وانها اذا عاش فيها شعب ما كالعرب الذين قضوا مدة أطول مما قضت أكثرية اليهود ، فان مشاعره لا يمكن الا أن تحتفظ بالحنين الى تلك البلاد »[١] .

وقال المؤرخ «توينبى» أيضا « لا زلت أقول ان اسرائيل بكاملها لا زالت من وجهة شرعية ملكا لعرب فلسطين الذين نزحوا عنها أثناء القتال بين الدول العربية من خارج فلسطين وبين الاسرائيليين[٢] » .

---

(١) صفحة ١٣٦ .
(٢) صفحة ١٠٩ .

وقال أيضا « ان الممتلكات فى اسرائيل لا زالت من حق هؤلاء العرب بصورة شرعية »[1] .

النصر معقود بلواء الحق مع القوة

ولو كان الصراع بين العرب واليهود ، مقصورا على اقتحام الحدود ، لهان الأمر ولكنه من أجل الحياة والوجود ولن تكون فلسطين الا لواحد من المتصارعين ، فاما عرب ، واما يهود . والبقاء للأصلح ، والنصر معقود بلواء الحق اذا آزرته القوة ، والباطل مهزوم لا محالة ، ودولة الظلم ساعة ، ودولة العدل الى قيام الساعة ان الجمهورية العربية المتحدة لتعلم علم اليقين أن اسرائيل تستعد لطعنها من الخلف ، لأنها قلب القومية العربية ومركز اشعاع الحرية للقارة الأفريقية والجنوب الشرقى للقارة الآسيوية .

وقد صرح بذلك رئيس الجمهورية فى كثير من أحاديثه لبعض الصحفيين الأجانب فقال : اننا نتوقع العدوان الاسرائيلى كل يوم « وقال فى حديثه مع أعضاء المجلس التشريعى الفلسطينى لقطاع غزة فى ٢٦ يونية سنة ١٩٦٢ م « أن اسرائيل لا تهاجم الا القاهرة ، لأنها تعلم أن القاهرة هى

---

(١) ١٢٣ من كتاب تورلند تونبى .

التى تملك القدرة والامكانيات التى تساعد على استعادة حقوق فلسطين » [١] .

وتصريح رئيس الجمهورية المكرر يدل على أنه متيقظ واع ، ومتنبه لما يجرى من حركات اسرائيل ومعاونيها ومستعد لملاقاة العدو فى أية لحظة .

ومن الحقائق الثابتة أن معرفة أحوال العدو شرط أساسى للانتصار عليه ، وأكثر المتحاربين معرفة بموضوع الضعف والقوة من خصومهم ، واحاطه بكافة شئونهم هم أقدر على هزيمتهم وسحقهم .

وأقوى المتحاربين من كان أعظمهم أخلاقا وأكثرهم صبرا وأقواهم سلاحا ، وأعز جندا ، وأقوى ايمانا بحقهم وأشد اتحادا — فأى الفريق أحق بفلسطين : ألعرب الفلسطينيون اللاجئون ، أم اليهود البغاة الظالمون ؟

ستبدى لك الأيام ما كنت جاهلا
ويأتيك بالأخبار من لم تزود

اليهود أدوات الاستعمار فى أفريقية كذلك

ان الاخطبوط الاستعمارى المكون من فرنسا وانجلترا وبلجيكا وايطاليا وهولندا والبرتغال وغيرها من البلاد الغربية

---

(١) نشر الحديث فى أهرام ٦٢/٦/٢٧ .

قد تسلل فى عصر الجهالة والظلام الى القارة الأفريقيـــة ، فمد اذرعته الى شماليها وجنوبيها وشرقيها وغربيها ، وظــل يمتص دماءها سنين طويلة ، حتى جاء عصر العلم والنـــور ، فتنهبت الأذهان واستيقظت الشعوب ، وقيض الله لمصر بعض أبنائها المخلصين ، يقودهم رجل مؤمن بالله وبوطنه ، وبعروبته وبقوميته وبقارته الأفريقية ، فبدأ بتخليص بلاده من براثن الاستعمار ، وأجلى الانجليز عن مصر ، ودعا الى الوحدة العربية وعزز وشائج القومية ، ثم وجه نظره الى شمال افريقية ، كما وجه نظره الى فلسطين ، فرأى الاستعمار الفرنسى يكاد يقضى على الجزائر العربية أو يحولها الى ولاية فرنسية ، لا يفرق فيها بين مسلم ومسيحى ما دام يجـرى فى عروقه الدم الجزائرى . فحمل راية الجهاد مع الجزائر منذ بدأت ثورتها التحررية ضد فرنسا فى عام ١٩٥٤ م ، لأن الجمهورية العربية المتحدة أصـبحت منـذ ثورة ٢٣ من يوليو ١٩٥٢ م تمثل طليعة النضال العربى والافريقى الحديث ووقفت بجانب اختهـا الجزائر حتى اسـتقلت فى يونيــه سنة ١٩٦٢ م بعد أن ظلت تحت سيطرة الاستعمار الفرنسى ١٣٠ سـنة .

وان التطورات الأخيرة التى ظهرت على المسرح السياسى

العالمى قد أوضحت كل الوضوح أن الدول الاستعمارية قد فتحت أبواب مستعمراتها الافريقية أمام الغزو الاقتصادى الاسرائيلى منذ عام ١٩٥٥ م وأن دول حلف الأطلنطى هى الممولة لاسرائيل فى عملية انتاجها للأسلحة الذرية (١) .

وقد اتخذت الدول الاستعمارية من اليهود ادوات لتنفيذ خططها الاستعمارية ولا سيما فى الدول التى استقلت حديثا فى افريقية وقد بلغت الآن ٣٣ دولة وصار اليهود يتسللون اليها بعثة تلو بعثة ، حتى بلغ عدد بعثاتهم الآن مائتى بعثة أو أكثر ، كما نشرت ذلك صحيفة التايمز اللندنية فقالت : ان هناك ما يربو على ٢٠٠ بعثة من الاسرائيليين فى أنحاء افريقية . وتحدثت الصحيفة عن التسلل الاسرائيلى الى القارة الافريقية ، فاشارت الى الدراسات السطحية السريعة التى تنظمها السلطات الاسرائيلية لطلاب البلدان الافريقية ، الناشئة وذكرت أن هناك ١٢٠٠ طالب افريقى يدرسون الآن فى اسرائيل (٢) .

---

(١) نشرت ذلك جريدة النجم الأحمر لسان حال الجيش السوفييتى ونقلته صحيفة الجمهورية فى ١٩٦٢/٥/٢ .

(٢) نقلت الأهرام تسلل اسرائيل من التايمز اللندنية فى ١٩٦٢/٩/٢٨ .

موقف اليهود من ثورة الجزائر وقصة اليهودى

وكان موقف اليهود من ثورة الجزائر كمواقف بنى جلدتهم فى جميع الثورات الوطنية ، انضمامهم لأعداء البلاد التى آوتهم وأكرمتهم طمعا فيما يحصلون عليه من أموال ، لأن المال عند اليهود هو غاية الغايات ، وكل ما عداه ان لم يكن وسيلة الى الحصول عليه فلا يلتفت اليه .

وليس أقوى فى الدلالة على ما أقول من شهادة شاهد من أهلهم قد عبر بحق عن الغاية القصوى والنهاية العظمى التى يسعى اليها اليهودى فى هذه الحياة . وهى المال ثم المال ثم المال ولا شىء غير المال .

وقد رأيت من باب الاستدلال على حب اليهودى للمال حبا يرتكب فى سبيله كل خزى وعار ، أن أسوق قصة أحد اليهود فى ثورة الجزائر الحديثة تلك القصة التى قصها لمحافظ مدينة « بنزرت » لنتبين منها طباع اليهودى وأخلاقه .

كان هناك جندى من فرقة المظلات الأجنبية ينتظر سير « المعدية » على مدخل بحيرة بنزرت ليذهب الى الضفة المقابلة من البحيرة . وكان يبدو على هذا الجندى أن سنه لا تتجاوز الثالثة والعشرين فجرى بينه وبين محافظ بنزرت الحديث الآتى :

محافظ بنزرت سائلا الجندى : من أين أنت ؟

الجندى : أنا من الجزائر .

قال المحـافظ : وزال عجبنـا عندما سألناه : هل أنت عربى ؟

قال : لا . اننى يهودى واسمى « دافيد كوهين سليمان »

المحافظ : هل لك أن تخبرنى عن تفاصيل المعركة ؟

قال اليهودى : ان لنا مهمة واحدة هى الارهاب وفى سبيل تنفيذ الأوامر نحصل على المال الكثير .

المحافظ : كيف تشترك فى قتل النساء والأطفال ؟!

اليهودى : يجيب بكلمة واحدة هى « المال » وقد ننتقل الى مكان آخر فتحصل على مال أكثر .

المحافظ : أليس لك هدف فى هذه الحياة ؟

اليهودى : « المال » واذا خرجت من الفرقة الأجنبيـة فسأجد من ورائى الأموال التى تساعدنى فى التجـارة والحصول على الأموال الكثيرة فى الجزائر أو فى ايطاليـا أو فى فرنسا نفسها .

المحافظ : هل تنوى أن تذهب الى اسرائيل ؟

اليهودى : لماذا ما دمنا نرسل اليهـا الأموال بصـفة

مستمرة ، ونساعد اليهود على نقل اموالهم متى رغبوا فى ذلك الى أى مكان فى العالم [1] .

وهناك حقائق اخرى ترسم صورا واضحة لأعمال اليهود وخياناتهم وغدرهم كلما مكنتهم الفرصة ، ما دامت الخيانة وسيلة الى المال ، فليس لليهودى هدف بعد المال ، كما صرح بذلك الجندى اليهودى فى حديثه مع محافظ بنزرت ولا يهم اليهودى أى مكان يعيش فيه ما دام يحصل على المال .

وان حوادث الارهاب الوحشية فى الجزائر من القتل والتعذيب ، واشعال الحرائق فى كل مكان ، ولا سيما فى الأماكن السريعة الاشتعال كمواضع البترول ، والمكتبات ، لتؤيد أقوال الجندى اليهودى كل التأييد ولقد كثرت حوادث الارهاب واشتد خطرها فى الجزائر فى الفترة التى تلت اتفاق « ايفيان » الذى يقضى بوقف القتال بين فرنسا والجزائر ريثما يتم استفتاء شعب الجزائر على تقرير مصيره فى شهر يولية سنة ١٩٦٢ م .

ومن أمثلة جرائم اليهود الغادرة فى مدينة « وهران »

---

(١) نشر الحديث فى الأهرام المؤرخة فى ١٩٦١/٨/١٦ .

ضد الوطنيين الجزائريين بطريقة سافرة متعاونين مع الجيش السرى الفرنسى على الاثم والعدوان أن عصاباتهم كانت تطلق نيران المدافع الرشاشة على الوطنيين الجزائريين فى سياراتهم ويقتلونهم جماعات ، وكانوا يذبحون كل وطنى يجدونه يسير وحده فى أى مكان ثم يمثلون بجثته ، وكانوا يتجسسون لحساب الجيش السرى الفرنسى ضد الوطنيين فى مختلف أنحاء الجزائر وأكد اليهود بهذه الحوادث موقفهم المعادى لاستقلال الجزائر ، وظهر أن عملياتهم الوحشية سبقت أحيانا عمليات الجيش السرى الفرنسى ، فقد بدأ اليهود ارتكاب جرائمهم الوحشية ضد الوطنيين العرب فى شهر ديسمبر من عام ١٩٦٠ م وهكذا كلما بحثنا عن أسباب الفتن والاضطرابات فى العالم ولا سيما فى البلاد الافريقية المستقلة حديثا والتى تطالب بالاستقلال ، وجدنا من ورائها أصابع اليهود تعبث بها ، ومال اليهود ينحرف بها عن الطريق المستقيم ، ودعايات اليهود المضللة تخدعها وتفسدها ، كما قال تعالى فى الآية التى أولها « وقالت اليهود يد الله مغلولة غلت أيديهم ولعنوا بما قالوا » [1] الى قوله تعالى ..

« كلما أوقدوا نارا للحرب أطفأها الله ، ويسعون فى الأرض فسادا والله لا يحب المفسدين » .

---

(١) فى سورة المائدة آية ٦٤ .

ولقد بين بعض أنواع افساد اليهود للعقول البشرية الكاتب الواسع الاطلاع عباس العقاد في قوله :

« ان أصبعا من الأصابع اليهودية كامنة وراء كل دعوة تستخف بالقيم الأخلاقية ، وترمى الى هدم القواعد التى يقوم عليها المجتمع الانسانى فى جميع الأزمان فاليهودى « كارل ماركس » وراء الشيوعية التى تهدم الاخلاق والأديان ، واليهودى « دوركيم » وراء علم الاجتماع الذى يلحق نظام الأسرة بالأوضاع المصطنعة ، ويحاول أن يبطل آثارها فى تطور الفضائل والآداب ، واليهودى « جان بول سارتر » وراء الوجودية التى نشأت مهدرة لكرامة الفرد . مجنحاً بها الى حيوانية تصيب الفرد والجماعة بآفات القنوط والانحلال ومن الخير أن ندرس المذاهب الفكرية ، كلما شاع منها فى أوربا مذهب جديد ، ولكن من الشر أن تدرس بعناوينها وظواهرها دون ما وراءها من عوامل المصادفة العارضة والتدبير المقصود .

ومن المشاهد فى هذا العصر أن أصابع اليهود كامنة وراء كل ثورة عربية تحررية لتعمل على اخماد جذوتها بالمال وبغيره من وسائل الاغراء أو الدسائس كما حدث فى ثورة اليمن والجزائر والكونغو .

هكذا وصف اليهــود المؤرخ العــالمى « توينبى » فى مناظرته اذ قال : ان اليهود بقايا متحجرة « وفسرها بأنها مجتمعات استثنائية منعزلة قد بقيت من عصر سابق ، كما أن المتحجرات سجل باق لأشكال الحياة التى وجدت فى الأعصر الخالية »[1] .

وليس أدل على تحجر عقلية اليهود من أساليبهم فى القرن العشرين فهى لم تتغير عن أساليب أســلافهم فى القــرون الوسطى ، فقديما هاج على اليهود الشعب الفرنسى فى عهد لويس التاسع ملك فرنسا ، لوسائلهم الدنيئة ، فذبحوا كثيرا منهم فى عام ١٣٣١ م وأمر لويس التاسع بحرق جميع كتبهم الدينيــة .

وفى عهد هنرى الثالث ملك انجلترا اقترفوا اثما مبينا ، فاغتصبوا الأموال ، واستحلوا الحرام فصب عليهم سوط العذاب وفى عهد « هتلر » زعيم الرايخ كانوا من أسباب هزيمة ألمانيا فى الحرب العالمية الثانية ، فأهلك منهم عددا كثيرا وفى سنة ١٩٤٨ م اغتصبوا أرض فلسطين العربيــة وأجلوا عنها أهلها ، وهم يحاولون الآن القضاء على القومية العربية ، ليقيموا على أنقاضها القومية اليهودية ، ولا يزالون

---

(١) كتاب « توينبى » صفحة ١٣٤ و ١٦٨ .

فى صراع مع الجمهورية العربية المتحدة التى يحمل رئيسها راية الدفاع عن حقوق عرب فلسطين ، ويقاوم بالقول وبالفعل أعمال اسرائيل ضدها . ومن أمثلة جهاده فى سبيل فلسطين أنه سافر الى أمريكا وألقى فى الأمم المتحدة فى سبتمبر الماضى خطابه التاريخى الذى تنطق كلماته بالصراحة والاخلاص والشجاعة والقوة ومنه :

« وفى فلسطين لابد أن تتحمل الأمم المتحدة مسئوليتها تجاه فلسطين وشعبها العربى ، تلك أبسط حقوق ذلك الشعب الباسل الذى واجه فى القرن العشرين محنة لم يسمع بمثلها فى أظلم عصور التاريخ ، وأن الأمم المتحدة لتعلم من سوء حاله ما يكفى لرسم صورة محزنة من الظلام الذى يحيط بمليون من البشر طردوا من أوطانهم وديارهم ، وسلبوا كل ما كانوا يملكون ، بل كل حياتهم ، ولست أريد هنا أن أستدر دموعا على أحوال اللاجئين من شعب فلسطين ، وانما أريد لشعب فلسطين حقوقه كاملة ، ولا نريد له الدموع .

وان التعلل بالأمر الواقع لخطيئة كبرى ترتكب فى حق المبادىء ، ولو قبلنا هذا التعلل لما جاز مطاردة السارق لنسترد منه ما سرق ، ولنقتص منه بحكم القانون ذنبه ، فالأمر الواقع على أساس من العدل وحكم القانون اعوجاج ينبغى على المجتمع تلافيه .

ولا تزال مؤامرات الابادة العنصرية ضد العـــرب فى اسرائيل مستمرة سواء أكانت بصورة عامة شاملة كما حدث فى مذابح دير ياسين وكفر قاسم أو بصورة صغيرة نسبيا كما وقع فى السابع عشر من شهر أكتوبر ١٩٦٢ م فى بلدة « ريشون لزيون » القريبة من تل أبيب ، فقد تكشفت من جديد عمليات الابادة المنظمة التى تقوم بها اسرائيل ضد أهل فلسطين الأصليين لتصفيتهم والقضاء عليهم . ولهذا فلا يستطيع العرب — والمعركة مستمرة كما نرى أن يقفوا مكتوفى الأيدى أمام هذه المؤامرات التى تدبر ضدهم فى فلسطين وغيرها — والمعركة معركة حياة أو موت [١] .

قوة اليقظة العربية فى الميثاق الوطنى

« ان اليقظة الثورية العربية كفيلة تحت كل الظروف بسحق كل تسلل رجعى مهما كانت أساليبه ومهما كانت القوى المساعدة له » هذه عبارة الميثاق الوطنى فى الباب السادس منه أســـوقها للاستدلال على يقظة الجمهورية العربية المتحدة وما دامت اليقظة رائدها ، والاستعداد يجرى فيها على قدم وساق فلن يستطيع العدو التسلل اليها أو الى أخواتها الشقيقات من البلاد العربية .

(١) الأهرام المؤرخة فى ١٨/١٠/١٩٦٢ .

الفصل الثالث عشر

محاولة اليهود تحريف القرآن

لقد سولت لليهود نفوسهم الأمارة بالسوء أن يتجاوزا العدوان على الحدود ، الى العدوان على العقول والقلوب لأن السيطرة على القلب والعقل هى المعول الهدام الذى يقوض بناء الأمم والأفراد ، فعمدوا فى هذا العصر الحديث الى تحريف القرآن العظيم بعد مضى نحو أربعة عشر قرنا من نزوله على خاتم الأنبياء والمرسلين ، وبعد حفظه فى صدور الملايين من المسلمين ، ظنا منهم أن تحريف القرآن سهل يسير كما حرف آباؤهم التوراة من قبل فضلوا وأضلوا كثيرا ونزل فيهم قوله تعالى « من الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه » (١) .

وفى آية أخرى « فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم وجعلنا قلوبهم قاسية يحرفون الكلم عن مواضعه »(٢) .

---

(١) فى سورة النساء آية ٤٦ .

(٢) فى سورة المائدة آية ١٣ .

وفى آية ثالثة « ومن الذين هادوا سماعون للكذب سماعون لقوم آخرين لم يأتوك يحرفون الكلم من بعد مواضعه »[1] .

وكأن اليهود صم لا يسمعون أصوات القرآن تذاع كل يوم وتردد فى أنحاء العالم على موجات الأثير حتى يكاد يسمعها الأصم ويعيها كل انسان ، ألم يسمع اليهود الحكمة الفرنسية القائلة « ان غزو الجيوش ممكن ولكن غزو العقول غير ممكن » ؟[2] .

ألم يعلم اليهود أن الأنبياء والمرسلين قد لاقوا فى سبيل غزو العقول والقلوب ، ومعهم المعجزات الباهرات والحق والبرهان ، أشد أنواع العنت والاضطهاد ، حتى عجز بعضهم عن هداية قومه الى الحق المبين والطريق المستقيم كنوح الذى يئس من قومه حتى دعا عليهم فأغرقوا وأغرق معهم ابنه كنعان ؟ .

وما لنا نذهب بعيدا ولا نذكرهم بنبيهم موسى عليه السلام ؟ وقد آذوه وعصوه وتحدوه « واذ قلتم يا موسى

---

(١) سورة المائدة آية ٤١ .

(٢) الحكمة « الفيكتورهيجو » .

لن نؤمن لك حتى نرى الله جَهْـرَةً ، فأخذتكم الصاعقة وأنتم تنظرون » (١) .

هذا الى أن قصص الأنبياء كلها شاهدة عـلى أن غزو العقول كان من أشق الأمور على الأنبياء المؤيدين بالمعجزات فكيف تسول لليهود أنفسهم أن يحاولوا غزو عقول الناس ، وهم فى الوقت نفسه أعداء الناس ؟

كيف تسول لليهود أنفسهم أن يحاولوا غزو العقول فى عصر قد تنورت فيه بنور القرآن ، ونور العلم والعرفان الذى سطع ضوؤه فى كل مكان ؟

ان مثلكم أيها اليهود فى محاولتكم الفاشلة كما قال الشاعر :

كناطح صـــخرة يوما ليوهنها
فلم يضرها ، وأوهى قرنه الوعل

انكم أيها اليهود برهنتم على أنكم بقايا متحجرة كما وصفكم المؤرخ العالمى « توينبى » لأنكم لم تتطوروا ولم تترقوا منذ حرف أسلافكم التوراة قبل نزول الانجيـل والقرآن .

كيف طوعت لكم نفوسكم وزينت لكم عقولكم أن

---

(١) من سورة البقرة آية ٥٥ .

تطبعوا عدة نسخ محرفة من القرآن وترسلوها الى كافة بلاد العالم التى تظنون أنها أسواق رائجة لأباطيلكم وضلالكم ، كبلاد غانا ، وغينيا ، واتحاد مالى ، والمغرب ، وبعض الدول الأفريقية الأخرى والدول الآسيوية ؟؟ [1] .

ألم تعلموا أن للقرآن أسلوبا الهيا ونظما عجيبا قد أعجز فصحاء العرب وتحداهم أن يأتوا بسورة واحدة من مثله وظل يحفظه المسلمون خلفا عن سلف منذ أربعة عشر قرنا من الزمان ، فلم يستطع أحد أن يبدل كلمة واحدة من كلمات الله التى تمت وقد تكفل الله بحفظها من التبـديل والتغيير ؟؟؟

ماذا كان مصير الألوف المحرفة من نسخ القرآن ؟

لقد انتفض العالم الاسلامى كله لمؤامرة اليهود الخبيثة ضد القرآن ، ووقفت وزارة الأوقاف والأزهر الشريف فى وجه هذه المؤامرة الصهيونية ، فأذاع فضيلة شيخ الأزهر بيانا جاء فيه :

---

(١) من الآيات التى حرفهـا اليهود آية ٨٤ من سورة البقرة فقد حـذفو منهـا (لا) من « لا تسفكون دماءكم ولا تخرجون أنفسكم من دياركم » لتتفق مع طباعهم التى تستحل سفك الدماء .

لقد تكشفت نوايا اسرائيل الخبيثة ، وقصدها السيء على دينكم فى طبعها القــرآن الكريم كتاب الله العظيم فى صورة محرفة قامت بتوزيعها فى آسيا وأفريقية ، تريد بذلك القضاء على دينكم ومعتقداتكم ، وذلك حينما فشلت فى أن تهدم بنيان المسلمين وكيانهم عن طريق السياسة والاستعمار.. ذلكم لأن السيطرة على القلب وعلى العقل هى المعول الهادم الذى يقوض بناء الأفراد والأمم .

وكذلك قامت ادارة الاتصال للشعوب الاسلامية بدور كبير فى اطفاء هذه الفتنة فاجتهدت حتى حصلت على جميع النسخ المحرفة وأحرقتها عن آخرها .

أما وزارة الأوقاف فقد كونت لجنة لاعداد ترجمة دقيقة صحيحة للقرآن الكريم ليطلع عليها من شاء من العلمــاء الأجانب . هذا ولم تزد القرآن مؤامرة اليهــود الا ذيوعا وانتشارا ، وحفظا وتثبيتا « وما زادتهم مؤامرتهم الدنيئة الا خزيا وفضيحة وها هو القرآن يتلى فى كل مكان كما أنزله الله على خير الأنام « وتمت كلمة ربك صدقا وعدلا ، لا مبدل لكلماته وهو السميع العليم »[1] وسيظل القرآن موجودا بين العرب يعزهم ويقويهم الى يوم القيامة ، فاعملوا

---

(١) من سورة الأنعام آية ١١٥ .

ما شئتم أيها اليهود أعداء الأديان وخصوم المثل العليا الروحية وعباد المادة فلن تستطيعوا أن تغلبوا العرب ماداموا متمسكين بكتاب الله خاتم الكتب المقدسة ، وليصح أحد أعضاء « الكنيست » ما استطاع أن يصيح ، وليثر حماسة نوابكم ما استطاع من اثارة للقضاء على القرآن العظيم فهى صيحات فى واد لا تهز من الجبل ذرة من ذراته ، ولن تطفىء النور الالهى بين أرضه وسماواته :

وقد ينبح الكلب النجوم وبينه
مسافة تدمى ناظر المتأمل

ان لم تكفوا عن محاربة كتاب الله فأذنوا بحرب من الله ورسوله والمؤمنين ، وما أنتم بمعجزين « بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فاذا هو زاهق ، ولكم الويل مما تصفون » (١) .

اليهود والانجيل

لقد عمد اليهود الى تحريف الانجيل ، كما حرفوا التوراه من قبل ، وزيفوا وقائع التاريخ الثابتة على الرغم من أن الأناجيل المقدسة صريحة كل الصراحة فى ادانة اليهود بأنهم هم الذين قرروا وطلبوا صلب المسيح — محاولين القاء

(١) فى سورة الأنبياء آية ١٨ .

التبعة على الـرومان من باب المغالطة اليهودية التى لا يقرها دليل . بل أن اليهود يفسرون بعض آيات الانجيل حسب أهوائهم السياسية ، مثل الوعـود المتعلقة بعودة اليهود الى فلسطين ، ثم ذهبوا الى أبعد من هذا فى دعايتهم السياسية ضد العرب لتبرير اغتصابهم لفلسطين العربيـة ، فقد حرفوا التوراة أيضا ، فحـذفوا منها وقائع لا تفيد الصهيونية ، وأضافوا اليها أكاذيب ، ليستفيدوا منها فى دعايتهم لايهام الرأى العام العالمى بشرعية اغتصابهم لفلسطين.

وهاأنذا أسوق الأدلة القاطعة والحجج الدامغة عـلى باطل دعايتهم ، من اكبر مؤتمر فى الفاتيكان شهده القرن العشرون لتوحيد العالم المسيحى وذلك فى يوم الخميس ١١من اكتوبر سنة ١٩٦٢ م .

لقد ارسلت اسرائيل طلبا الى الفاتيكان للاشتراك فى هذا المؤتمر الدينى العام ، وبذلت كل الجهود من اصدقائها ومن المنظمات الصهيونية ، لتحقيق هذا الحلم الصهيونى ، فرفضت الفاتيكان طلب اشتراكها ، اذ عقد بطريرك الروم الكاثوليك « مكسيموس صايغ » مؤتمرا دينيا فى بيروت فى العشرين من شهر سبتمبر ١٩٦٢ م واشترك فيه ١٧ من رؤساء الأساقفة والمطارنة ، ودعا جميع الطوائف المسيحية لرفض أى يهودى فى مؤتمر الفاتيكان الثانى .

وقد اعتمد المؤتمر العربى فى رفضه اشتراك اليهود على أدلة أبرزها جميعا ثلاثة :

الأول : ان الصهيونية تقوم بمحاولات لتحريف الكتاب المقدس ، وتحوير آياته ، وتأويلها اذ تعمل جماعة شهود يهوه على تحريف العهدين : القديم والجديد لحساب منظمات سياسية .

الثانى : ادانة الأناجيل المقدسة لليهود فى طلبهم صلب المسيح .

الدليل الثالث : تفسير اليهود بعض آيات الانجيل فيما يتعلق بعودتهم الى فلسطين بعد جلاء بابل على حسب أهدافهم السياسية ، فيقولون : ان ذلك يعطيهم حقا فى اقامة دولتهم بفلسطين .

دحض مفتريات اليهود

وقد دحض المؤتمر مفتريات اليهود فيما يلى :

ان دعوة اليهود فيما يتعلق بعودتهم الى فلسطين قد تحققت قديما عندما أرجعهم الى فلسطين « قورش » الفارسى فى القرن السادس قبل الميلاد .

وكذلك دحض المجمع الكاثوليكى ما زعمته الصهيونية من أن الله قد وعدهم فى التوراة بأرض فلسطين — بأن وعد الله قد تحقق عندما تم غزو أرض كنعان (فلسطين) على يد « يشوع بن نون » وعلى يد من خلفه فى قيادة بنى اسرائيل منذ عهده الى آخر عهد « داود وسليمان » وبتمام هذا الوعد والنبوءات التى كان ولا يزال الصهيونيون يحلمون بها تصير ادعاءاتهم بحقهم فى الاستيلاء على فلسطين وتشريد أهلها ادعاءات باطلة من أساسها ، لأن الله لم يعدهم بتسليم فلسطين أبد الدهر .

الشعب المسيحى متيقظ

وقال المطران « الياس زغبى » فى حديثه الذى نشرته مجلة المصور المؤرخة فى ٥ أكتوبر ١٩٦٢ م : اننى أعتقد أن كل هذه المحاولات اليهودية لن تجدى لأن الشعب المسيحى متيقظ ، ولن يتنازل عن حق اخوانه أبناء فلسطين فى العودة الى ديارهم ، وطرد المستعمرين الصهيونيين منها ، ثم اختتم المطران حديثه بقوله « ان الهدف الخبيث الذى يسعى اليه المؤتمر الصهيونى العالمى من وراء قيامه بهذه الحملة المضللة ضد الكتب السماوية ، وتحريف بعض الآيات الثابتة فيها ، انما هو الرغبة الملحة فى استمالة الرأى العام المسيحى ،

واقناعه بالتسليم بأن فلسطين أرض صهيونية ، لا يمكن لأية قوة أن تخرجهم منهـا ولكن المسيحيين متيقظون ، فالعروبة ليست مسيحية واسلاما انما كلنا عرب ، ضاعت منا أرض عربية وشرد منها أخوة لنا مسيحيون ومسلمون ، ولكنهم كلهم عرب » .

الفصل الرابع عشر

المعركة مستمرة بين العرب وإسرائيل

واذن لا يمكن أن تنتهى المعركة بين العرب واسرائيل الا بعودة عرب فلسطين الى أرضهم وديارهم ، وسندهم فى ذلك هو الحق وقرار الجمعية العمومية للمنظمة الدولية فى دورتها الخامسة التى عقدت فى عام ١٩٥٠ م وكان قرارها يقضى « بوجوب اعادة اللاجئين الفلسطينيين الى ديارهم وهم نحو المليون ، وبدفع التعويض لكل من لا يرغب منهم فى العودة الى فلسطين » .

وسندهم أيضا يقظة العرب مسلمين ومسيحيين وتصميمهم على اعادة اللاجئين اخوانهم فى العروبة ، هذا التصميم الذى أعلنه المجمع الكاثوليكى الذى سبقت الاشارة اليه ، والذى أعلنه رئيس الجمهورية العربية المتحدة أكثر من مرة وفى مناسبات كثيرة ومنها اجابته عن سؤال «دافيد وين مرجان» حينما سألته : وماذا عن مشكلة فلسطين ؟

فقال : ان وضع اسرائيل فى منطقتنا وضع لا سبيل الى

قبوله بتاتا ، فليس فى امكاننا أن نتراجع عن اصرارنا على الاعتراف بحقوق عرب فلسطين اعترافا كاملا ، وأن نرد الى المليون عربى اللاجئين فى قطاع غزة ديارهم التى شردوا منها ، وان كل تفكير فى اجراء مفاوضات للصلح مع اسرائيل ضرب من المحال ، حتى ولو كانوا على استعداد لأن يقدموا تعويضات مالية من نوع ما ، محال أن يشترى وطن انسان أو تبتاع روحه ، أو حقوقه الانسانية الجوهرية ولسوف يسوى الحساب فى يوم من الأيام ، وأعتقد أنه مما يساعد على ذلك أن نبنى اقتصاد العالم العربى وأن نرفع مستوى معيشة أبنائه لكى نبلغ المرحلة التى يتاح لنا فيها أن نمارس من الضغط على الاسرائيليين ومن وراءهم بما يجعلهم يدركون عبث مقاومتهم »(١) .

انتصار العرب بسقوط احدى قاعدتى الاستعمار فى شمال افريقيـــــة

وها هو ذا كفاح الجزائريين ومعاونة الجمهورية العربية المتحدة لهم فى كفاحهم قد خلص الجزائر من براثن الاستعمار

(١) نشرت الحديث الأهرام المؤرخة فى ١٩٦٢/١٠/٢ نقلا عن الصنداى تيمس كبرى جرائد الأحد البريطانية تحت عنوان « لمحات من قصـــة عبـــد الناصر » كتبها الصحفى « دافيد وين مرجان » .

بعد سيطرته عليها ١٣٠ سنة ، وان اسقاط قاعدة الاستعمار فى المغرب العربى مقدمة لاسقاط قاعدته فى الشرق وتلك هى « اسرائيل » كما أعلن ذلك رئيس الجمهورية العربية المتحدة فى بيانه الذى ألقاه فى اليوم الثانى من شهر يولية سنة ١٩٦٢ م فى اجتماع المؤتمر الوطنى للقوى الشعبية بمناسبة استقلال الجزائر فى هذا اليوم الأغر .

ثم استمر الرئيس فى بيانه قائلا : اننى عندما تكلمت مع ممثلى شعب فلسطين قلت لهم :

ان علينا أن نستعد ، وكفانا ما لمسناه فى عام ١٩٤٨ م ، ان النضال العربى لتحرير فلسطين يقع على شعب فلسطين وهو الطليعة ، وعلينا أن نعزز هذه الطليعة ، نحن نعرف مسئوليتنا ونقبلها عن طيب خاطر . علينا أن نعزز موقفنا ، ونستعد فى جميع الميادين المادية ، والروحية ، والعسكرية ، حتى نضمن النصر وحتى لا تتكرر المأساة . لقد خصصنا فى الميزانية مائة وثلاثين مليونا من الجنيهات للجيش لنستعد ليوم النصر ، طيراننا نقويه ، جيشنا نقويه ، أسطولنا نقويه .

حينما بدأنا نساعد الجزائر بدأت فرنسا تساعد اسرائيل وتسلح اسرائيل ، كنا نؤمن أن القضاء على كل قواعد الاستعمار هو قضاء على أعوانه ، وقضاء على قواعده التى

تستخدم ضد الحرية ، علينا أن نبذل كل جهد للقضاء على قواعد الاستعمار . وفى سنة ١٩٥٦ م اشتركت فرنسا فى العدوان على مصر وقال رئيس وزرائها ان السبب هو مساندتنا لثورة الجزائر . ماذا كان بيننا وبين فرنسا ؟ كان الجنرالات الفرنسيون يقولون : اننا نريد أن نخضع الجزائر عن طريق القاهرة .

وقال أيضا : أما نضالنا فى فلسطين سنة ١٩٤٨ م فلماذا انتكس ؟ لأننا دخلنا المعركة بدون أن نستعد ولأن الرجعية أيضا تواطأت مع الاستعمار .

اننا تحررنا تحررا كاملا مما يجعلنا نتحمل تاريخيا أكبر قسط من المسئولية ، لأننا نملك القوات الضخمة المادية والعسكرية ميزانيتنا أكثر من ألفى مليون جنيه ، وجيشنا أقوى جيش .

واذا كنا مصممين على النصر فلابد أن نعرف أن النصر الذى يتعين علينا احرازه ليس بالنصر الرخيص ، فلا يمكن احرازه بالكلام أو بالخطب، أو بالبيانات، وانما يمكن احرازه فقط بمتابعة الهدف باستمرار ، وبالتأهب وبالاستعداد وبناء القوة الذاتية العربية ... » [١] .

---

(١) ملخص ما نشر فى الأهرام المؤرخة فى ١٩٦٢/٧/٣ .

ولما أتبع رئيس الجمهورية العربية المتحدة أقواله بالأفعال فصنعت الجمهورية العربية الصواريخ وأطلقتها فى سماء القاهرة فى العيد العاشر لقيام ثورة ٢٣ يولية ١٩٥٢ م ، جن جنون اسرائيل حتى طار رئيسها « بن جوريون » ووزيرة خارجيتها الى بعض العواصم الأوربية فى الشهر التالى لشهر يولية ١٩٦٢ م يستجدى كلاهما الأسلحة لمحاربة الجمهورية العربية المتحدة وكسر شوكتها واضعاف قوتها .

« وكذلك طار وزير ماليتها ليفى أشكوك » الى أمريكا فى شهر سبتمبر من العام نفسه وخطب فى واشنطن قائلا :

« ان الرئيس عبد الناصر وقف أخيرا بجوار احدى قواعد اطلاق الصواريخ المصرية ، وألمح الى أنها تستطيع أن تنطلق فى اتجاه اسرائيل .

ثم قال « يجب على اسرائيل أن تستعد للدفاع عن نفسها من خطر تلك الصواريخ مهما كان الثمن » وقال أيضا : ان الوقت اللازم لكى يصل صاروخ يطلق من مصر الى « تل أبيب » أقل من الوقت الذى تستغرقه عملية الاقتراع على أى مشروع بقرار من مجلس الأمن . يعنى أن صواريخ القاهرة أسرع من قرارات مجلس الأمن ثم ختم خطبته

بقوله « ولهذا فان الواجب يحتم علينا أن نستعد لمواجهة احتمال حدوث حرب مع الرئيس عبد الناصر .. »[1] . وان المتأمل فى خطبة وزير مالية اسرائيل ليرى نيران العداوة والبغضاء تتأجج فى صدر قائلها ، والشر والاستعداد له يتراءى من خلال كلماتها ، ويعلم علم اليقين أن المعركة بين العرب واسرائيل لا زالت مستمرة وأن الاستعداد لها قائم على قدم وساق حتى تحين الفرصة . وأن يوم الفصل لآت لا ريب فيه وكل آت قريب ، والنصر لمن قدر المدة ، وأعد العدة ، واغتنم الفرصة . وعمل بقوله تعالى : « وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة »[2] وقد برهن العصر الحديث على أنه لا حد للقوة ما دام الفكر الانسانى فى رقى لا حد له ، فقد استطاع اختراع القذائف الذرية والهيدروجينية ، والصواريخ الموجهة وهكذا :

كلما أنبت الزمان قناة

ركب المرء فى القناة السنانا

---

(١) الأهرام المؤرخة فى ٢٣/٩/١٩٦٢ م .

(٢) فى سورة الأنفال من آية ٦٠ .

الفصل الخامس عشر

هل سنة ١٩٦٤ هى الحاسمة للخطر الاسرائيلى ؟

ماذا بعد مؤتمر القمة لملوك ورؤساء الدول العربية ؟

أتاحت لى فرصة تأخير طبع هذا الكتيب الى عام ١٩٦٤ وهو العام الذى ينبغى أن يطلق عليه عام فلسطين — أن أكتب فى خاتمته فصلا جديدا أملته الأحداث والتطورات التى نشأت عن محاولة اسرائيل تحويل مجرى نهر الأردن وما ترتب على ذلك من دعوة [١] الرئيس جمال عبد الناصر لملوك الدول العربية ورؤسائها الى عقد مؤتمر القمة لمواجهة خطر اسرائيل .

ولقد كان لتلك الدعوة الخالصة صداها القوى الذى تردد فى آفاق السياسة العربية وسائر الآفاق العالمية . ولم تلبث الدول العربية أن استجابت لدعوته فاجتمع

(١) تاريخ اعلان دعوة الرئيس هو يوم ١٩٦٣/١٢/٢٢ فى خطاب ألقاه فى بور سعيد بمناسبة عيد النصر .

ملوكها ورؤساؤها الا من حال دون اجتماعه المرض فأناب عنه من يمثله فى الاجتماع الذى انعقد فى القاهرة يوم ١٣ من شهر يناير سنة ١٩٦٤ وقد ضم هذا المؤتمر جميع ممثلى الدول العربية وهى [١] ١٣ دولة وقرروا جميعا مناهضة الخطر الاسرائيلى ومقاومة الدول الاستعمارية التى تسانده وتموله ، ووضعوا خطط المقاومة السريعة بكل الوسائل المالية والسياسية والاقتصادية والفنية والعسكرية وبدءوا فى تنفيذ قرارات المؤتمر متحدين جميعا لأول مرة وسيكون لاتحاد كلمة العرب فى هذا المجال أثره القوى فى تحرير فلسطين واعادة اللاجئين الى ديارهم بعد أن فشلت الأمم المتحدة فى تنفيذ قراراتها المتكررة منذ عام ١٩٤٨ الى عام ١٩٦٣ وهى تنص على وجوب السماح للاجئين الراغبين فى العودة الى ديارهم السابقة والعيش فى سلام مع جيرانهم أما أولئك الذين لا يرغبون فى العودة فينبغى دفع تعويضات لهم عن ممتلكاتهم فى اسرائيل . كما فى الفقرة رقم ١١ من القرار رقم ١٩٤ لعام ١٩٤٨ .

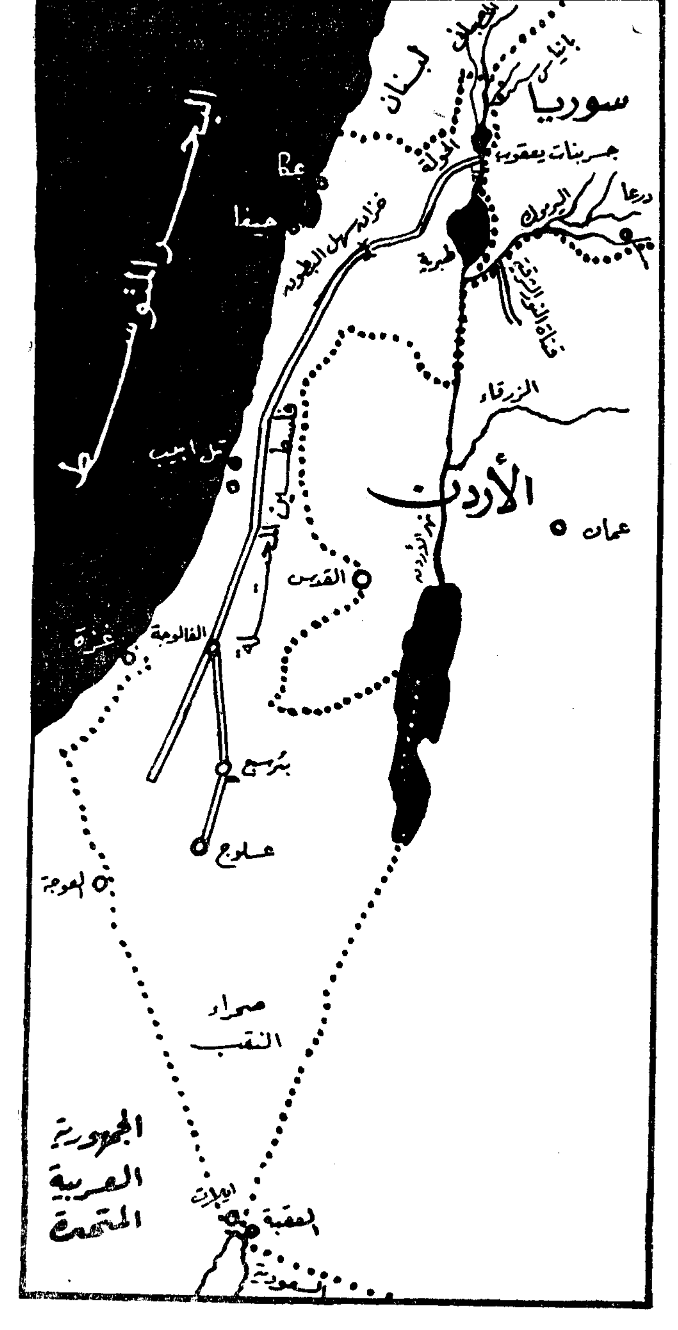
---

(١) الدول العربية هى : العراق وسورية ولبنان والأردن والكويت والجمهورية العربية المتحدة وليبيا وتونس والجزائر والمغرب والسودان والسعودية واليمن .

وكان رأى اللجنة الفنية العربية فى أواخر عام ١٩٦٠ أنه يمكن اقامة بعض المشروعات المستعجلة كتحويل مياه البانياس وانشاء سد تحويلى على مجرى الحصبانى وتحويل مياه اليرموك لتفويت فرصة تحويل اسرائيل لمجرى نهر الأردن لأن نهر الأردن انما يستمد ماءه من هذه الروافد التى تنبع من سورية ولبنان والأردن فاذا نفذ مشروع اللجنة العربية الفنية فشل المشروع الاسرائيلى . ولكن تفرق العرب وقتئذ واتجاه أمريكا الى مساعدة بعض الدول العربية لاقامة مشروعات منفردة لا تتعارض مع مشروع اسرائيل أدى الى تشجيع اسرائيل على الاستمرار فى خطتها العدوانية ومواجهتنا فى هذا العام ١٩٦٤ بمرحلة حاسمة فى الصراع معها . وهذه (خريطة تبين خطر المشروع الاسرائيلى لتحويل مجرى نهر الأردن لتعمير صحراء النقب ولتوليد الكهرباء) .

وأكبر ظنى أن هذه المرحلة ستحسم هذا الصراع الخطير للأسباب الآتية :

ان عدم تنفيذ قرارات الأمم المتحدة المنوه به آنفا منذ ١٥ عاما من سنة ١٩٤٨ الى سنة ١٩٦٣ جعل الدول العربية تؤمن بأن قضية فلسطين لا تحلها قرارات الأمم المتحدة


البحر المتوسط
لبنان
سوريا
جسر بنات يعقوب
الحولة
عكا
حيفا
طبرية
اليرموك
درعا
الزرقاء
الأردن
عمان
نهر الأردن
تل ابيب
القدس
غزة
الفالوجة
بئر سبع
عسلوج
العوجة
صحراء
النقب
الجمهورية
العربية
المتحدة
ايلات
العقبة
السعودية

ولا يحسمها ولا يفصل فيها الا العرب أنفسهم أصحاب الحق وأهل الأرض المغتصبة .

ولما أدرك العرب أن تفرقهم كان من أقوى الأسباب فى طمع اسرائيل فى تنفيذ مشروعاتها فى تحويل مجرى نهر الأردن وحرمان أرضهم من معظم مياه النهر وروافده واقامة المحطات الكهربية لتوليد الكهربا واستعمار صحراء النقب التى تبلغ مساحتها ٦٦٪ من مساحة فلسطين ، وان طمع اسرائيل فى العدوان والتوسع لن يقف عند حد معين — لما أدركوا ذلك تهيأت أنفسهم للاتحاد ضد هذا الخطر فصادفت دعوة الرئيس جمال من نفوسهم قبولا واستجابة وتم اتحادهم فى مؤتمر القمة الذى انعقد فى ١٣ من شهر يناير سنة ١٩٦٤ وصدق فيهم قول القائل :

نبذ الهوى وصحا من الأحلام

شرق تنبه بعد طول منام

ومما يدل على أن هذه المرحلة هى الحاسمة لهذا الخطر أنه رصدت الأموال اللازمة لتنفيذ مشروع الدول العربية لاقامة السدود والقنوات على روافد نهر الأردن فى سورية ولبنان والأرض لتعطيل مشروعات اسرائيل . وقد حسبت

الدول العربية حسابها واستعدادها العسكرى والاقتصادى والسياسى حتى اذا ما بدأت اسرائيل بالعدوان على البلاد العربية لتعطيل مشروعها فستشهر ضـدها وضـد الدول الاستعمارية التى تعاونها على الاثم وتشجعها على العدوان أخطر أسلحتها البتارة التى تبتر ميزانها الاقتصادى وتعطل عدتها الحربية من طيارات وبوارج فلا يستطيع الأسطول السادس الأمريكى أو البريطانى أن يتحرك الى البحـر الأبيض كما كان من قبل ، ولا يستطيع قلب الصناعة الأوربية أن ينبض اذا ما استعمل العرب سلاحهم الخطير ، ذلكم هو سلاح البترول السائل فى الخليج العربى وفى الكويت وفى السعودية وفى العراق وفى ليبيا وفى صحراء الجزائر .

ولم يستطع علماء الغرب ورؤساؤهم انكار خطر البترول فى الشرق الأوسط بل اعترفوا بشدة حاجتهم اليه ومن ذلك ما قاله « ايزنهاور » فى خطابه أمام الكونجرس الأمريكى فى أثناء تقديمه « لمشروع ايزنهاور » ان الشرق الأوسـط يمدنا بجسر بين أوربا وآسيا من ناحية وافريقية من ناحية أخـرى .. وهو يحتوى نحو ثلثى مسـتودعات البترول المعروفة فى العالم حتى الآن .. وقد صرح صناعى بريطانى كبير يوم ١٩٦٤/٢/٢٥ بأن أوربا تعتمد على بترول دول

الشرق الأوسط بنسبة ٨٠٪ الى كميات البترول التى تحصل عليها [١] .

هذا الى أن بأيدى الجمهورية العربية المتحدة سلاحا آخر ليس أقل خطـرا من سلاح البترول ، ذلكم هـو قناة السويس التى هى بمثابة الشريان الحيوى اذ تمر عبرها مئات الملايين من أطنان النفط فى طريقها الى أوربة ، ولو منع مرور البترول منها لأصيبت قلب أوربة بضربة قاتلة . ويؤيد ذلك ما نشرته صحيفة الموند « على أثر تأميم قناة السويس والعدوان الثلاثى عـلى مصر سـنة ١٩٥٦ . فقد قالت الصحيفة : قناة السويس تمثل شيئا آخر غير مجرد مصالح احدى الشركات المساهمة ، أو مجرد مصالح أسـهم مالية معينة .. انها تمثل رمزا .. واذا سقط هذا الرمز فان السد سينهار ، وسيتعاقب التأميم تلو التأميم وستنهار جميـع شركات البترول ، وسيكون ذلك آخر ضربة موجهة الى مكانة الغرب [٢] .

(١) الصناعى الكبير هولورد روبنزر ئيس هيئة الفحم الوطنية البريطانية قال التصريح أعلاه فى محاضرة القاها على المهندسين وبناة السفن الاهرام والأخبار فى ٦٤/٢/٢٦

(٢) من وثيقـــة الأهرام المؤرخـة فى ١٤ يناير سنة ١٩٦٤ ص ٦ .

ومما يدل على أن هذه الأسلحة السياسية والاقتصادية لا تقل خطرا عن القــوة العسكرية العربية ضد اسرائيل والدول الاســتعمارية التى تساندها أن الرئيس جمــال عبد الناصر لم ينس التنبيه على خطرها على الأعــداء فى خطابه التاريخى الذى ألقاه فى يوم عيد الوحدة السادس وهو اليوم الثانى والعشرون من شهر فبراير سنة ١٩٦٤ اذ قال : « قد حان للعرب أن يتعلموا كيف يستعملون قوتهم فى فرض احترامهم واحترام حقوقهم » وقال فى الرد على رئيس وزراء انجلترا « لو كان رئيس وزارة انجلترا واثقا أنه اذا أيد اسرائيل ستتأثر مصالح انجلترا فى العالم العربى ما جرؤ أن يجرى هذا الكلام [١] على لسانه ، ولكن ما زالت مصادر قوتنا لا تستخدمها كما ينبغى وعلينا نحن أن نكافح وناضل فى كل شبر من الوطن العربى لنجعل هذه المصادر مصادر القوة مصادر حقيقية ولنجعل هؤلاء الناس يحترمونا ويخشونا ، وليعرفوا أن الذى يســاند اسرائيل ستتأثر مصالحه فى الوطن العربى كله من الخليج الى المحيط » .

---

(١) قال هيوم فى كنــــدا فى شهر فبراير سنة ١٩٦٤ انه كان يتمنى أن أمريكا تترك بريطانيا سنة ١٩٥٦ ليتم غزو مصر من خطبة الرئيس جمال .

ثم قال فى موضع آخر من الخطاب : « ان الحرب مع اسرائيل حتمية ما دامت مصممة على العدوان على حق كل عربى ضد مبادىء الانسانية والعدل . لأن اسرائيل أعلنت بعد الدورة الأخيرة للأمم المتحدة (١٩٦٣) وبعد أن أصدرت الأمم المتحدة قرارها بعودة الفلسطينيين الى بلادهم وتحدت هذا القرار وقالت انها لن تسمح للفلسطينيين بالعودة الى بلادهم » .

ونحن نقول : لابد للفلسطينيين أن يعودوا الى بلادهم ولابد أن تكون عندنا القوة الرادعة التى تردع اسرائيل ومن هم وراء اسرائيل (١) ، ثم عدد الرئيس فى موضع آخر من خطابه أبرز نتائج مؤتمر القمة العربى على النحو التـالى :

١ — تشكيل القيادة العربية الموحدة . وبدون هـذه القيادة لن يستطيع أى بلد عربى أن ينجد البلد الآخر اذا ما اعتدت اسرائيل عليه لأن القيادة الموحدة هى التى ترسم الخطط وتحدد الأهداف وتنسق العمليات العسكرية فى البلاد العربية .

٢ — التصميم على اتخاذ مواقف سياسية واقتصادية

---

(١) من خطب الرئيس فى عيد الوحدة سنة ٦٤ .

من الدول التى تقف موقفا معـــاديا من قضايانا أو قضية فلسطين .

٣ — انشاء الكيان الفلسطينى وقد أسند الى السيد أحمد الشقيرى ممثل فلسطين فى الجامعة العربية أمر ابراز الكيان الفلسطينى وها هو ذا يواصل اجتماعاته الرسمية بالدول العربية المختلفة لمتابعة البحث فى تنفيذ قرارات مؤتمر الذروة فيما يتعلق بالكيان الفلسطينى .

المبادىء الأساسية التى سيقوم عليها كيان فلسطين(١)

نشرت بعض صحف لبنان يوم ٢٢ من شـــهر فبراير سنة ١٩٦٤ مشروع الكيان الفلسطينى الذى سيقدمه السيد أحمد الشـــقيرى الى المؤتمر الفلسطينى الذى يعقد يوم ١٤ من شهر مايو سنة ١٩٦٤ بالقدس . وقد تضمن المشروع المبادىء الأساســـية التى سيقوم عليها الكيان الفلسطينى وأهمها :

١ — ان فلسطين وطن للشعب العربى الفلسطينى وهى جزء من الوطن العربى ، وأن شعبها يشكل وحدة متكاملة من الأمة العربية .

---

(١) من الأهرام فى ١٩٦٤/٢/٢٣ .

٢ — ان تحرير فلسطين واجب على الأمة العربية عامة ، وعلى الشعب العربى الفلسطينى خاصة .

٣ — ان تقسيم فلسطين باطل أساسا .

ثم فصل المشروع النظام الأساسى لمنظمة التحرير الفلسطينية ، وتشكيل المؤتمر الذى يعتبر المجلس الوطنى للمنظمة ، وتشكيل اللجنة التنفيذية للمجلس وموارد الصندوق القومى الفلسطينى .

وجاء فى المشروع أن شعب فلسطين هو الذى يقرر مصيره بعد التحرير ويختار النظام الذى يريده ، وأن اليهود ليسوا شعبا وانما هم مواطنون فى البلد الذى يقيمون فيه ، وأن الصهيونية حركة استعمارية ومصدر دائم للخطر وهى لذلك غير شرعية . وهذا ما سبق اثباته .

وسيعقد المؤتمر فى القدس وغزة على التعاقب ، ويضم المجلس الوطنى لجانا للسياسة والأنظمة والتمويل والاعلام والقانون والمقترحات والتوعية والتنظيم القومى للنقابات والاتحادات وتضم اللجنة ١٥ عضوا ينتخبهم المجلس وتعقد كل ثلاثة أشهر ويكون للمنظمة مجلس شورى . وقوات فلسطينية تدرب وفقا للخطة التى تقرها القيادة العربية الموحدة . ويمول الصندوق القومى من : ضريبة ثابتة على

جميع الفلسطينيين ومن المساعدات المالية من الحكومات والشعوب . ومن طابع التحرير والتبرعات والقروض غير المشروطة » .

ولقـد حضر زعماء جبهة التحرير الوطنى الجزائرية اجتماعا عاما فى ميدان الشهداء بعاصمة الجزائر فى اليـوم الثانى والعشرين من شهر فبراير سنة ١٩٦٤ وقد اشترك فى الاجتماع السيد أحمد توفيق المدنى وزير الأوقاف ، وتحدث الخطباء فى هذا الاجتمـاع عن اغتصاب فلسطين وخطة الصهيونية ازاءها ، وأشـاروا الى أن اللاجئين العـرب سيشنون نضالا مسلحا لتحرير وطنهم .

وقد عقدت الجمعية الوطنية اجتماعا خاصا اتخذت فيه قرارا بدعم انضمام الجزائر الى النضال العربى من أجـل تحرير فلسطين .

وكذلك أعلن السيد محمد سعيد نائب رئيس وزراء الجزائر يوم ٢٣ من شهر فبراير سنة ١٩٦٤ فى اجتمـاع حاشد بمناسبة انتهاء أسبوع فلسطين ، ان الجزائر على استعداد للتضحية بمليون ونصف مليون رجل اذا اقتضى الأمر لهزيمة اسرائيل . وقال : ان العرب يعتبرون أنفسهم فى حالة تعبئة . وأضاف لقد ضحينا بمليون ونصف مليون

فى سبيل استقلال بلادنا ونستطيع أن نضحى أيضا بمثل هذا العدد لتحرير فلسطين » .

فهل المعسكر الغربى على استعداد اليوم لمواجهة جميع هذه الاحتمالات التى تهدد كيانه ؟!

وهل فى نيته حقـا أن يغامر ويقامر بسلامته وأمنه فى سبيل مساندة اسرائيل فى تنفيذ مشروعاتها العدوانية على البلاد العربية ؟! انه ان خاطر فى هذه المرة فسيفقد مصالحه الكثيرة فى الشرق الأوسط .

أما العرب فانهم واثقون بالنصر لأنهم على الحق المبين . وأعداؤهم على الباطل المشين ، ولابد للحق أن يدفع الباطل متى رفع رايته المؤمنون كما قال تعالى« بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فاذا هو زاهق » وعما قريب ستزول القواعد الحربية البريطانية والأمريكية من البلاد العربية والافريقية ما دام فى العرب أمثال جمال وأحمد بن بللا وسائر ملوك العرب ورؤسائهم المخلصين ومن ورائهم شعوبهم أباة الضيم الأحرار الذين قال شاعرهم :

وحارِبْ إذا ما خفتَ يوماً ظُلاَمةً
شَبَا الحربِ خيرٌ من ركوب المظالم

وكذلك قال الآخر :

متى تجمع القلب الذكي وصارماً
وأنفاً حمياً تجتنبك المظالمُ

فتوكلوا أيها العرب على ربكم ونفذوا خطط مؤتمر القمة ولا تخافوا تهديد اسرائيل ان الله قد قال فى كتابه العظيم مخاطبا المؤمنين ومبينا لهم ضعف اليهود فى القتال « لن يضروكم الا أذى » . والمراد بالأذى فى هذه الآية الطعن أو التهديد أو الدعايات الكاذبة التى تسمى (حرب الأعصاب) فى هذا العصر ، أما القتال فهم لا يستطيعونه لجبنهم لقوله تعالى « وان يقاتلوكم يولوكم الأدبار ثم لا ينصرون » [1] ولن يكون لأحد نصر لهم عليكم اللهم الا بالأذى كالقول والتهديد كما تقول الدول الاستعمارية وتهدد وبخاصة فى هذه الأيام بمناسبة محاولة اسرائيل تحويل مجرى نهر الأردن ومناهضة العرب لهم ولا شك أن هذه الآية من المغيبات التى أيدها الواقع ، اذ كان حال يهود قريظة ، والنضير ، وبنى قينقاع وخيبر قديما وكان كذلك حال اسرائيل فى العدوان الثلاثى على مصر سنة ١٩٥٦ فقد ولوا الأدبار ، ولم يصمدوا على القتال الا بضعة أيام

(١) آية ١١١ من سورة آل عمران .

ولم تستطع نصرهم الجيوش الانجليزية والفرنسية على كثرة عددها وعدتها ، أليس واقعنا المشاهد فى العدوان على بور سعيد أقوى شاهد على أن الله سيهزم جميع اليهود ومن يناصرهم وأنهم سيولون الأدبار كلما سولت لهم أطماعهم وأطماع محرضيهم على القتال ؟ بلى ، « كلما أوقدوا نارا للحرب أطفأها الله » (١) .

فليقف العرب دون مشروعات اسرائيل الاستعمارية موقف المؤمنين بنصر الله وليثقوا أن النصر من عند الله وقد وعد بنصر المؤمنين فى قوله تعالى « وكان حقا علينا نصر المؤمنين » (٢) كما أنزل على محمد (ص) قوله تعالى فى بنى اسرائيل « ان ربك يقضى بينهم بحكمه وهو العزيز العليم ، فتوكل على الله انك على الحق المبين » (٣) .

انتهى يوم ٩ من شهر مارس سنة ١٩٦٤
و ٢٥ من شوال سنة ١٣٨٣

---

(١) آية ٦٤ من سورة المائدة .
(٢) آية ٤٧ من سورة الروم .
(٣) الآيتان ٧٨ و ٧٩ من سورة النمل .

المـــراجع

١ ـ القرآن الكريم .

٢ ـ تفسير البيضاوى والطبرى والنابلسى .

٣ ـ قصص الأنبياء لحامد عبد القادر .

٤ ـ الانجيل ـ انجيل متى .

٥ ـ الميثـــاق .

٦ ـ القاموس المحيط والمصباح المنير .

٧ ـ الدولة العربية الكبرى لمحمد كامل المحامى .

٨ ـ المسألة اليهودية لعبد الله حسين .

٩ ـ أرض الميعاد لصبحى ياسين .

١٠ ـ لن نكون لاجئين للدكتور أحمد معوض .

١١ ـ اسرائيل بنت بريطانيا البكر لمحمد الزغبى .

١٢ ـ هذه هى الصهيونية لاسرائيل كوهين .

١٣ ـ تاريخ بنى اسرائيل ج ٣ .

١٤ ـ تاريخ سورية جـ ٢ من المجـلد الرابع والثالث للدبسى .

١٥ ـ تاريخ المؤرخ آدى شير جـ ٢ .

١٦ ـ تاريخ المؤرخ شاروپيم جـ ١ .

١٧ ـ تاريخ كلده وآشور جـ ٢ .

١٨ ــ معالم التاريخ الوسطى لرفعت وحسونه .

١٩ ــ تاريخ الدولة الفاطمية للدكتور حسن ابراهيم الطبعة الثانية .

٢٠ ــ قصة الحضـــارة وعصر الايمان تاليف « ول دبورانت ج ٣ من المجلد الرابع » .

٢١ ــ اسرائيل العدو المشترك للواء أركان حرب محمد صفوت .

٢٢ ــ من جرائم الصهيونية لصبحى صادق النجار .

٢٣ ــ اسرائيل جناية وخيانة ــ للدكتور ســـعدى بيومى .

٢٤ ــ « تورلند توينتى » المؤرخ الانجليزى العـــالمى المعاصر .

٢٥ ــ كارثة فلسطين لعبد الله التل .

٢٦ ــ اسرائيل ــ فكرة ــ حركة ــ دولة ــ لهـــانىء الهندى ومحسن ابراهيم .

٢٧ ــ المسالك والممالك ــ لابن خرداذبه .

٢٨ ــ الدولة الاســـلامية ــ لعبـــد الحميد العبادى وزميليه .

٢٩ ــ رسالة الغفران ــ لأبى العلاء المعرى .

٣٠ ــ شرح التبيان على ديوان المتنبى ج ١ للعكبرى .

٣١ ــ سلسلة اخترنا لك ج ٣ .

٣٢ ــ من أحاديث الرئيس جمـــال عبـــــد الناصر

الرسمية ، وبيـــاناته التاريخيـــة ، وخطبه السياسية .
٣٣ ــ الصحف الأجنبيـــة والمصرية ومنهـا صحيفة الصنداى تيمس البريطانية ، وصــحيفة النجم الأحمر الســوفياتية ــ والأهــرام والاخبــار والجمهورية المصرية .
٣٤ ــ حياة محمد ــ لمحمد حسين هيكل .
٣٥ ــ الاسرائيليون والمؤامرة الكبرى ــ للدكتور جمال الرمادى .
٣٦ ــ أجناس أوربا ــ للمؤرخ « ربلى » .


http://kotob.has.it

فهرست

صفحة

صفحة

صفحة